الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الأنساق الثقافية في أخبار ابن الجوزي

أخبار الأذكياء - أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
- إلهام علاق

إشراف الدكتورة:
- سكينة قدور

لجنة المناقشة

رئيس اللجنة	عضو مقرر(مشرف)	الأستاذ المناقش
أ يوسف نجعوم	***أ.د سكينة قدور***	أ رابح محوي

السنة الجامعية:
2022 /2023 م
1443/ 1444 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الأنساق الثقافية في أخبار ابن الجوزي

أخبار الأذكياء - أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
- إلهام علاق

إشراف الدكتورة:
- سكينة قدور

السنة الجامعية:
2022 /2023 م
1443/ 1444 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الأنساق الثقافية في أخبار ابن الجوزي

أخبار الأذكياء - أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
- إلهام علاق

إشراف الدكتورة:
- سكينة قدور

السنة الجامعية:
2022 /2023 م
1443/ 1444 هـ

المقدمـــــة

تنوعت فنون النثر العربي القديم وتعددت أغراضه ومجالاته فشملت جميع مناحي الحياة العربية القديمة منذ العصر الجاهلي،متحولة من المشافهة إلى الكتابة والتدوين،منافسة الشعر الذي عده النقاد ديوان العرب ، ليصبح النثر هو الأخر ديوانهم الذي خلد مآثرهم وعادتهم وأساليب عيشهم ، فقد تميز برقي أفكاره وعمق معانيه وواكب المتغيرات النقدية، مما جعله مادة دسمة لدراسات و أبحاث كثيرة من منظورات و مناهج نقدية مختلفة ،سياقية ونسقية .

ولعل النقد الثقافي واحد من أهم آليات مقاربة النص الأدبي قديمه وحديثه، وقد وقع عليه اختيارنا لدراسة النص النثري العربي القديم، فهو من أهم المناهج النقدية المعاصرة التي تجاوزت الجمالية إلى الثقافية، وذلك باستنطاق الخطاب الأدبي وقراءته قراءة جديدة تتمظهر في الأنساق المضمرة المتخفية والمتوارية خلف أنساق أخرى والتي من شأنها أن تستفز القارئ كلا حسب معتقداته وإيديولوجياته المسبقة.

ولأن الأخبار جنس أدبي يمتلك قدرة فائقة على نقل انشغالات الإنسان باعتبارها موروثا ثقافيا وفنيا، خاصة إذا اعتمدنا على النسق الثقافي للولوج إلى واحدة من أهم المدونات في التراث العربي القديم ألا وهي "أخبار الأذكياء" التي تستجيب للقراءة الثقافية واستنباط الأنساق الثقافية الكامنة.

وقد وقع اختيارنا على مدونة "أخبار الأذكياء" لابن الجوزي الفقيه والمحدث والعالم وعلامة عصره في التاريخ والحديث البيان.

ففي كتابه الكثير من المكتسبات الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية التي اعتنت بالأخبار التي يزخر بها تراثنا القديم، وهذه عبارة عن مجموعة من النصوص تعكس طبيعة النفس البشرية بما تحمله من متناقضات، لذلك فهو يحتاج منا

التوقف عند أخباره المتنوعة، لما فيها من أنساق متخفية كانت مرآة عاكسة لمجتمع وأعراف وعادات كشفت لنا جوانب غامضة عن طبيعة العصر وتعقيداته وملابساته وأشارت إلى أدوائه وانتقدت بأسلوب مباشرو غير مباشر نقائصه وثمنت الجوانب المضيئة فيه.

وكل هذا جعلنا نختار مصنف ابن الجوزي أنموذجا للدراسة والتي حملت عنوان: الأنساق الثقافية في أخبار ابن الجوزي "أخبار الأذكياء" أنموذجا فقد تقصينا بعض أخباره ، محاولين الإجابة عن الكثير من التساؤلات التي استفزتنا وكذا البحث عن المعنى المضمر والخفي الذي أراد المؤلف إيصاله.

ولهذا البحث إشكالية مركزية تتمثل في ماهية النقد الثقافي و مرتكزا ته وتمظهرات الأنساق الثقافية في "أخبار الأذكياء" لابن الجوزي ؟

وتتمخض عن هذه الإشكالية أسئلة يجب الإجابة عليها في هذه الدراسة أبرزها: ما النقد الثقافي؟ وما هي مرتكزاته ؟ وما النسق الثقافي ؟ وما هي تمظهراته في كتاب أخبار الأذكياء؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وضعنا خطة تتكون من فصلين: جاء الفصل الأول معنونا بماهية النقد الثقافي وأهم مرتكزاته، وحاولنا في هذا الفصل النظري أن نعرف بالنقد الثقافي وعلى ما يقوم ، وأخذ لمحة عامة عن الأنساق المضمرة، كما توقفنا عند بعض الدراسات النقد ثقافية للنثر العربي القديم كالأخبار والمقامات وأدب البخل.

وجاء الفصل الثاني تطبيقيا بعنوان تمظهرات الأنساق الثقافية في "أخبار الأذكياء" لابن الجوزي، حاولنا فيه تطبيق ما فهمناه من الجانب النظري، واستخراج بعض

الأنساق وكشفها كالأنساق الدينية والاجتماعية والسياسية محاولين الكشف عن أغوارها والخروج منها بعبر ومواعظ.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة بأهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من الدراسات أهمها:

- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية لعبد الله الغذامي وحاول فيه هذا الأخير إرساء دعائم أسس منهج نقدي جديد ويطرح هذا الكتاب قراءة في الأنساق الثقافية العربية وتتم بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل مظاهره .
- نقد ثقافي أم نقد أدبي لعبد الله الغذامي وعبد النبي أصطيف ويطرح هذا الكتاب حوار ومواجهة بين كاتبين كبيرين هما عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف في موضوع النقد الثقافي والنقد الأدبي، فالغذامي يعلن موت النقد الأدبي ويحل محله النقد الثقافي بينما عبد النبي اصطيف ينفي موت النقد الأدبي بل يقر أنه مازال يقوم بدوره على أكمل وجه.
- وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة سكينة قدور بالكثير من الشكر على المجهودات المبذولة للوصول إلى النتائج المرجوة.

الفصل الأول

- تمهيد
1. ماهية النقد الثقافي ومرتكزاته
2. النسق الثقافي
3. الثقافة والنسقية في النص العربي القديم

تمهيد:

يعد النقد الثقافي من إفرازات تيارات النقد الحديثة، فهو يقوم على استنطاق خفايا النص الأدبي شعرا ونثرا، ليكشف عن أنساق مضمرة متناقضة وتتم دراستها ضمن سياق ثقافي واجتماعي وتاريخي وسياسي، وعليه فهو يقوم بتوجيه النص إلى جماليات جديدة.

لذلك يعد "النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية والسيمائيات والنظرية الجمالية (الإستيتقية)، ومن ثم فقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة والنقد معا بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي"[1]

نتيجة لذلك جاء النقد الثقافي خليفا للنقد الأدبي، معلنا موته وبداية لمشروع نقدي يبحث في الأنساق المضمرة المتخفية داخل جمالية النص السطحية.

"ومن بين أهم الأشياء التي طالها التغيير في هذا الحقل المعرفي النص، حيث سعى النقد الثقافي والدراسات الثقافية إلى كسر مركزيته، إذ لم يعد ينظر إليه كنص وإلى الأثر الاجتماعي الذي يحدثه، بل صار التعامل معه من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية."[2]

" وعلى هذا الأساس اتسع مفهوم النص ليشمل كل ظاهرة ثقافية أو حادثة أو ممارسة مكتوبة كانت أو غير مكتوبة، ليتم دراسته وفق سياقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية التي أنتجته ومن زوايا مختلفة (....) وعلى هذا

[1]– جميل حمداوي: نظريات النقد الثقافي في مرحلة بعد الحداثة، دار النشر الألوكة المغرب،ص 74، www.alukah.net

[2]– شعبان عبد العزيز: ما بعد النقد الأدبي، النقد الثقافي وهجرة النقد إلى تخوم الأطراف والهوامش، المجلة العربية لعلم الترجمة، المجلد 02، العدد03، 2023 الجزائر ص 249.

الأساس ارتحل النقد إلى تلك الظواهر الثقافية التي لم يعترف بها من قبل المؤسسة لتحمل مواصفات النص الذي ينبغي نقده ودراسته وتحليله"[1]

ومن خلال مما سبق نستنتج أن النقد الثقافي أخرج النص من الزاوية الضيقة باعتباره نص أدبي جمالي ليبحث في أغواره وفق سياقات جديدة غير معلنة.

"مما يجعلنا نفهم مرة أخرى أن النقد الثقافي أو الممارسة النقدية الثقافية للخطابات الثقافية تعتبر تجاوزا للجمالي إلى النسق الثقافي المضمر، وتجاوزا أيضا لتلك الممارسات النقدية الأدبية بتوسيع أفاق النظر والتأويل والقراءة النقدية للنصوص للبحث فيما وراء الجماليات، وطرح أسئلة أخرى جديدة بتوجيه الممارسة النقدية إلى ما تم تغافله وتهميشه من طرف النقد المؤسساتي، وفتح جهات نقدية أخرى على تخوم الهوامش والأطراف والاستفادة منها في تطوير الآليات المنهجية والإجرائية والقرائية للإبداع الإنساني"[2]

ومن ثمة نقول إن انفتاح و وشساعة النقد الثقافي بتعامله مع كل الخطابات الثقافية جعل النص موضوعا للنقاش مقارنة بالنقد الأدبي الذي يبحث في جمالية النص فقط.

1- ماهية النقد الثقافي و مرتكزاته:

" النقد الثقافي مصطلح حديث جدا، ولم يقدر له الذيوع أخيرا إلا بمقدم المتغيرات والعوامل التي أدت إلى العولمة وما بعد الحداثة، فلا يعد نتيجة لهما بقدر ما هو شريك ينبع من نفس المصادر، وينتسب إلى ذات المنهاج و هو ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية، كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا من بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة أو فاعلية. تتوفر على درس كل ما تنتجه

[1]- شعبان عبد العزيز: ما بعد النقد الأدبي، النقد الثقافي وهجرة النقد إلى توم الأطراف والهوامش ،ص250 .

[2]- المرجع نفسه، ص 251.

الثقافة من نصوص سواء أكانت مادية أو فكرية، ويعني النص هذا كل ممارسة قولا أو فعلا، تولد معنى أو دلالة"[1]

"فالنقد الثقافي ركز اهتمامه على المضمرات النسقية المستترة بالجانب الجمالي للنص الإبداعي، ورصد تمظهراتها وسمات تشكلها من داخله، وسعى من وراء ذلك إلى مصادرة القيم الثقافية التي تشربها سياق النص الماثل للقراءة، إيديولوجية كانت هذه القيم أو سياسية أو اجتماعية"[2]

"والنقد الثقافي نشاط معرفي ذو مستوى متميز، ينصب على ما يتحقق فيه مواصفات النصية، ليعمل هذا النشاط على اكتشاف الأوجه الممكنة للنص أولا، والشروط المنتجة له على النحو الذي أنتج فيه، ويفحص فعالية هذه الشروط من وجهة نظر، تستند إلى رؤيته لها أو استنادا إلى الرؤية التي أنتجها مستفيدا من المنجز النقدي الحداثي، فليست مهمته الاقتصار على النصوص الأدبية، وإنما أصبحت تتعداها إلى غيرها من عناصر الثقافة المختلفة"[3]

لذلك فالنقد الثقافي يتمركز على اكتشاف أوجه ثقافية متعددة للنص دون الجمالية منها."إن النقد الثقافي كما اعتقد هو مهمة متداخلة، مترابطة، متجاورة، متعددة، كما أن نقاد الثقافة، يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد ، وأيضا أن يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والإنتروبولوجية ..الخ) ودراسات الاتصال، وبحث في وسائل

[1]– صلاح قنصوة: تمارين في النقد الثقافي، (ت دار النشر)، سربت القاهرة، ط1، 2007، ص5.

[2]– عبد القادر طالب: النسق الثقافي وسمات تشكل في الخطاب الأدبي (قراءة من خلال تجربة يوسف عليمات)جملة دراسات لسانية، المجلد 02، العدد 1سنة 2018،جامعة أحمد بوقرة بومرداس، الجزائر، ص250.

[3]– هيثم أحمد العزام: النقد الثقافي، قراءة أخرى، دار النشر والتوزيع الوراق س 2006، ص 183.

الإعـلام، والوسـائل الأخـرى المتنوعـة التـي تميـز المجتمـع و الثقافـة المعاصـرة (وحتـى غير المعاصرة)"[1]

إن النقـد الثقـافي يتمحـور أساسـا فـي تتبـع الأنظمـة المتخفيـة وكـذا معرفـة قـدرتها علـى التـأثير علـى القـراء والمتلقـين ومـدى قـدرتها علـى إعـادة إنتـاج نفسـها مجـددا وكـذلك معرفة المهمة التي يؤديها.

"وعليه فإن المهمة التي يؤديها النقد الثقافي تتم على مرحلتين:

الأولـــى: الاشـتغال علـى السـطح الثقـافي، أي تنـاول مـا تجسـده الثقافـة مـن مناشـط مختلفة وهي الأشكال التي تعبر فيها الثقافة عن نفسها.

والثانيـة: الأشـكال الثقافيـة المـذكورة أنفـا، منظـور إليهـا باعتبـار القواعـد المنشـئة لهـا، وهـذه القواعـد هـي أسـس التفكيـر، التـي كانـت وراء هـذا الشـكل الـذي تـم التفكيـر فيـه، مـع ملاحظـة المسـافة المفترضـة بـين أسـس التفكيـر والأشـكال الصـحيحة التـي يفتـرض أن تنشأ عنها"[2]

وعليـه فمهمـة النقـد الثقـافي تـتم علـى مـرحلتين الأولـى وتتمثـل فـي الأشـكال التـي تعبـر فيها الثقافة عن نفسها أما الثانية عن القواعد المنشئة لها التي هي أساس التفكير.

"وبالتـالي فهـو نقـد نصوصـي يتخـذ مـن الـنص مـادة نقـده ومهمتـه الأساسـية هـي استكشـاف المضـمرات الثقافيـة غيـر الواعيـة لتترسـخ فيمـا بعـد كأنظمـة ذهنيـة لا يخـرج عنهـا، بـل يعـاد إنتاجهـا فـي الخطابـات الثقافيـة، وتسـتهلك مـن طـرف المتلقـين(...)، النقـد الثقـافي يسـتدعي بالدراسـة المهمـش، والممنـوع وغيـر المعتـرف بـه مـن طـرف المؤسسـة، والطـابو، وعلاقـات الصـراع القائمـة علـى القـوة، وهـو إسـتراتيجية لإعـادة

[1]– أثر إيزابرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رومان يسطاو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (مصر) ط1، 2003م، ص30.

[2]– هيثم أحمد العزام: النقد الثقافي، قراءة أخرى، ص 184.

ترتيب الأمور بين الهامش والمركز، بمركزه كل من طاله التهميش بإلقاء أضواء النقد والدراسة عليه"[1]

وفي الأخير نقول إن النقد الثقافي عبارة عن مقاربة متعددة الاختصاصات وفيها تستكشف الأنساق، وتجعل النص وسيلة لفهم كل ما هو ثقافي مضمر في اللاوعي، اللغوي، والأدبي والجمالي.

مرتكزات النقد الثقافي:

إن النقد الثقافي عند الغذامي يقوم على ستة أساسيات اصطلاحية وهي كالآتي:

" إن تحوير المصطلح النقدي من الصفة الأدبية إلى الثقافية، يوجب إجراءه مجموعة من التعديلات، لكي يؤدي المهمة الجديدة المضطلعة، وهذا لا يكون إلا بتحوير فعلي لنا وللأدوات المستعملة عن طريق عملي الانتقال الاصطلاحي باعتباره انتقالا نوعيا يمس الموضوع والأداة معا.

النقلة الاصطلاحية بما أنها أولى النقلات وأهمها ستشمل ستة أساسيات اصطلاحية هي:

أ- عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية)

ب- المجاز (المجاز الكلي)

ت- التورية الثقافية

ث- نوع الدلالة

ج- الجملة النوعية

ح- المؤلف المزدوج

هذه أساسيات ستة تشكل المنطلق النظري والمنهجي لمشروع النقد الثقافي".[2]

وهذا ما سنوضحه في ما يلي حيث حدد (الغذامي) النسق في جملة من الأمور.

---

[1]- شعبان عبد العزيز: ما بعد النقد الأدبي: النقد الثقافي وهجرة النقد إلى تنوم الأطراف والهوامش ص 248.

[2]- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي ط03، سنة 2005، ص63.

أ- الوظيفة النسقية:

يرى الغذامي "أنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، فإذا كان رومان جاكسبون قد حدد ست وظائف لستة عناصر، الوظيفة الجمالية للرسالة والوظيفة الانفعالية للمرسل، والوظيفة التأثيرية للمتلقي والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة والوظيفة الوصفية للغة فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي".[1]

"ولهذا العنصر وظيفة لا توفرها أي من العناصر الستة الأصلية، إذ به انكشف البعد النسقي في الخطاب وفي الرسالة اللغوية، وعليه تقوم منظومة من المصطلحات والتصورات نعتمد عليها في بناء التصور النظري والمنهجي لمشروع النقد الثقافي".[2]

" حدد النسق في حملة من الأمور عبر وظيفته حيث يتعارض النظامان (النسقان) اللذان يكون أحدهما مضمرا، ناقصا للآخر ناسخا له وهو النسق الظاهر"[3]

وعليه فالوظيفة النسقية هي أساس التحول من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي والنظر إلى الفعل النصي كونه حادثة ثقافية، والانطلاق من العنصر النسقي هو أساس المنهج الثقافي.

ب- المجاز الكلي:

يهدف النقد الثقافي "إلى استخلاص المجازات الثقافية الكبرى، التي تتجاوز المجاز البلاغي والأدبي المفرد، حيث يتحول النص أو الخطاب إلى مضمرات ثقافية مجازية"[4]

---

[1]- جميل الحمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ص 06.

[2]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي، دار الفكر، دمشق ، 2004، ط1ص26.

[3]- ملحة بن معلث بن رشاد السحيمي: نظرية النقد الثقافي مالها وما عليها مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة طيبة المدينة المنورة، ص18.

[4]- ملحة بن معلث بن رشاد السحيمي: نظرية النقد الثقافي مالها وما عليها ، ص 20.

"وهذا معناه أننا بحاجة إلى كشف مجازات اللغة الكبرى والمضمرة، ومع كل خطاب لغوي هناك مضمر نسقي يتوسل بالمجازية والتعبير المجازي، ليؤسس عبره قيمة دلالية غير واضحة المعالم، ويحتاج كشفها إلى حفر في أعماق التكوين النسقي للغة وما تفعله في ذهنية مستخدميها"[1]

" وعبر العنصر النسقي وما يفرزه من وظيفة نسقية وعبر توسع مفهوم المجاز ليكون مفهوما كليا لا يعتمد على ثنائية الحقيقة المجاز ولا يقف عند حدود اللفظة والجملة، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال"[2]

وعليه فإن الجمع بين مفهوم المجاز الكلي مع الوظيفة النسقية للغة ما هما إلا بديل للنقد الأدبي وأساس المنهج الثقفي.

ج- التورية الثقافية:

وفي هذا الصدد يقول عبد الله الغذامي: " إن استعارة مصطلح (التورية) ونقله من عالم البلاغة إلى حقل (النقد الثقافي) يستلزم توسيع المفهوم ليدل دلالة كلية لا تنحصر في معنيين قريب وبعيد مع قصد البعيد[3] ونحن هنا نوسع من مجال التورية لا لتكون بهذا المعنى البلاغي المحدد ولكن نقول بالتورية الثقافية، أي أن الخطاب يحمل نسقين، لا معنيين، وأحد هذين النسقين واع والآخر مضمر"[4]

وعليه فالمنهج الثقافي يقوم على توسيع مصطلح التورية.

خ- نوع الدلالة (الدلالة النسقية):

"يستند النقد الثقافي إلى ثلاث دلالات: الدلالة المباشرة الحرفية، و الدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية.

---

[1]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي، دار الفكر، دمشق ، 2004، ط1ص18

[2]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص70.

[3]- المرجع نفسه، ص 71.

[4]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي، ص29.

والدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي، ونحن نسلم بوجود الدلالتين الصريحة والضمنية و كونهما ضمن حدود الوعي المباشر، كما في الصريحة أو الوعي النقدي كما في الضمنية، أما الدلالة النسقية فهي في المضمر وليست في الوعي، وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي التي نكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء"[1]

"وتكون الدلالات حينئذ كالآتي:

1. **الدلالة الصريحة:** وهي عملية تواصلية.
2. **الدلالة الضمنية:** وهي أدبية جمالية
3. **الدلالة النسقية:** وهي ذات بعد نقدي ثقافي، وترتبط بالجملة الثقافية "[2]

وعليه فالنقد الثقافي يقوم على ثلاثة دلالات الأولى دلالة صريحة مباشرة حرفية والثانية دلالة ضمنية إيحائية ، والثالثة دلالة نسقية ثقافية.

هـ- <u>الجملة النوعية</u> :(الجملة الثقافية)

" تعتمد الجملة الثقافية في النقد الثقافي، على التمييز المنهجي، بين ثلاث جمل رئيسة: هي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي، والإيحائي، والجملة الثقافية".[3]

والجملة الثقافية هي المقابل النوعي للجملتين النحوية والأدبية...

"وستكون أنواع الجمل ثلاثا كالآتي:

1. الجملة النحوية المرتبطة بالدلالة الصريحة.
2. الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة.

[1]- جميل حمداوي، ديوان العرب، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص 06.

[2]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 73.

[3]- ملحة بن معلث بن رشاد السحيمي: نظرية النقد الثقافي مالها وما عليها ، ص19.

3. الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة"[1]

"والجملة الثقافية ليست عدد كميا، إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية، أي أن الجملة الثقافية هي دلالة إكتنازية وتعبير مكثف"[2]

و- <u>المؤلف المزدوج:</u>

" يمكن الحديث في إطار المقاربة الثقافية بشكل من الأشكال، عن مؤلف مزدوج الكاتب الجمالي والأدبي، الذي ينتج أنساقا أدبية وجمالية فنية ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة، وذلك عن طريق الرمزية والإيحائية وهناك في المقابل المبدع الثقافي، الذي يتمثل في الثقافة نفسها التي تتوارى وراء الظاهر في تشكل أنساق مضمرة غير واعية"[3]

" غير أننا سنجد من تحت هذه الإبداعية، وفي مضمر النص سنجد نسقا كامنا وفاعلا ليس في وعي صاحب النص، ولكنه نسق له وجود حقيقي، وإن كان مضمرا.

إننا نقول بمشاركة الثقافة كمؤلف فاعل و مؤثر، والمبدع يبدع نصا جميلا فيما الثقافة تبدع نسقا مضمرا ولا يكشف ذلك غير النقد الثقافي"[4]

هذه إذن مرتكزات النقد الثقافي من الناحية الإجرائية.

2-<u>النسق الثقافي:</u>

يعد النسق الثقافي مفهوما شائكا ومشروعا جديدا وهذا ما يتبين لنا كالآتي:

---

[1]- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 74.

[2]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي، ص 28.

[3]- ملحة بن معلث بن رشاد السحيمي: نظرية النقد الثقافي مالها وما عليها ، ص21.

[4]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي، ص 34.

"يشكل مفهوم النسق محورا مركزيا في مشروع النقد الثقافي، وهذا المفهوم يتحدد أولا عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، فالوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان من أنساق الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصا وناسخا للظاهر ويكون ذلك في نص واحد، أو في ما هو بحكم النص الواحد، ويشترط أن يكون جماليا أو أن يكون جماهيريا.[1]

وعليه فالنسق الثقافي عند الغذامى إما أن يكون ظاهرا جليا أو مضمرا خفيا.

"نقول –إذن– إن مواصفات الوظيفة النسقية هي:

أ– نسقان يحدثان معا وفي آن ،في نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد.

ب– يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي– كما نحدده هنا–

ت– لابد أن يكون النص جميلا، ويستهلك بوصفه جميلا، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.

ث– ولابد أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة، وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي.

هذه شروط أربعة إذا ما توفرت نكون أمام حالة من حالات الوظيفة النسقية فهي لحظة من لحظات النقد الثقافي"[2]

لذا فالغذامى "فقد استشعر الاضطراب الناجم عن استخدام كلمة نسق وأن هذه الكلمة طالما ترد في الخطاب العام والخاص، وأنها شاعت إلى حد تشوهت معه

[1]– حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية دراسات نقد المؤسسة العربية للدراسات والنشر1 2003، بيروت ص46.

[2]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 78.

دلالتها، لقد آثر تجنب الخوض في متاهة دلالة النسق، مغلقا باب البحث فيها، مكتفيا بعدم الاعتراف على الدلالات المتعددة والشائعة.

وكان عدم الاعتراض وحده كفيل بأن يسوغ الاستخدام الاصطلاحي على نحو جديد.

إن النسق مفهوم مركزي في مشروع الغذامي النقدي...ويكتفي الغذامي بالإشارة إلى أن النسق يكتسب قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة.

وبتتبع هذه الاصطلاحات يتبين للدارس أن النسق يأتي على صور عدة منها:

1. النسق نظام خطاب...وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب وهذا يعني أن النسق ظاهر وخفي.
2. النسق دلالة مضمرة والنسق من حيث هو دلالة مضمرة، فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة.
3. النسق خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما، فالنسق هنا شيء مطلق"[1] ومن ثم، "فاستخلاص الأنساق الثقافية المضمرة ذات قابلية جماهيرية شعبية، على عكس الأنساق النخبوية التي تلقى شعبية عامة على مستوى الاستقبال والاتصال، بمعنى أن النقد الثقافي في خدمة القيم الإنسانية وخدمة الإنسان كيفما كان مستواه الاجتماعي والطبقي والعرفي والإثني.[2]

ومن هنا "يمكننا أن نحدد مفهوم الأنساق الثقافية، بأنها نظم بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات، وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير والتأنيث الثقافيين، والعرق، والدين، والأعراف الاجتماعية، والقيود السياسية، والتقاليد الأدبية، والطبقية و علاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات، وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي

[1]– هيثم أحمد العزام: النقد الثقافي قراءة أخرى ص 162–163.

[2]– د جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة شبكة الألوكة ص 68.

والفكري وطرائق تلقيه.والأنساق الثقافية لا تقتصر على الأدب الرسمي أو المعتمد في ثقافة ما، وإنما تتجاوز ذلك إلى الأدب غير الرسمي أو (غير المعتمد= الأدب الشعبي)"[1]

وعليه "فالنقد الثقافي" ينطلق من قضايا النص ليصل إلى الأنساق المضمرة ومن ثمة ينبني النقد الثقافي على نظرية الأنساق المضمرة وهي أنساق ثقافية وتاريخية تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص ويكون لها دور في توجيه عقلية الثقافة وذائقتها، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية، لأن النقد الثقافي مشروع في نقد الأنساق، والنسق مرتبط بكل ما هو مضمر"[2]

"إن النسق الثقافي كما يراه الغذامي هو الذي أدى إلى اختلاف الطواغيت ويبدو أنه بذلك اخترع طاغية من نوع آخر جديد هو النقد الثقافي الذي يريد له أن ينفرد في الساحة الثقافية."[3]

ونستخلص مما سبق أن النسق الثقافي يقوم على نسقين الأول ظاهر والآخر مضمر ويكون هذا الأخير نقيضا للمعلن وأن يكون النص محل الدراسة جميلا ذات جماهيرية ويحظى بمقروئية.

3-الثقافة والنسقية في النص العربي القديم:

يعد النص العربي القديم بصورتيه الشعرية والنثرية متميزا بالرغم من تأخر ظهور هذا الأخير.

---

[1]- ضياء الكعبي: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1/2005، ص22 -23.

[2]- صورية جعبوب: النقد الثقافي، مفهومه، حدوده وأهم رواده، مجلة كلية الآداب واللغات العدد 01، جامعة خنشلة/ الجزائر ص31.

[3]-.سمير خليل: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجوهري بغداد، ط1، 2012، ص54.

"ظل الشعر العربي القديم ولأمد طويل جدا "ديوان العرب" ورغم كون العرب أنتجوا فنونا وأجناسا أخرى، فقد ظلت صورة الشعر وأسبقيته منطبعة في الوجدان العربي، لكن منذ بداية تشكل الدولة العربية الإسلامية وما صاحبها من تطورات وتغيرات ظهرت الحاجة إلى بروز فن آخر هو (النثر– الكتابة) وبدأ يحتل المكانة الأساسية للمنافسة، وإذا كانت المنافسة أو المفاضلة بين إنتاج الشاعر أو الناثر (الكاتب) وليدة ظروف اجتماعية وثقافية مهنية جديدة في المدينة الإسلامية، فإن ذلك لم يمنع من ظهور أجناس أخرى فرضت نفسها و إن لم تحظ بالاهتمام والنقد التقليدي"[1]

ومن هنا يتبلور لنا أن الموروث الثقافي عبارة عن نصوص انتقلت لنا إما كتابيا أو شفهيا، وبعد الخبر من أكثر الأنماط التأليفية اهتماما وحضورا، وعلة ظهور هذه الأخبار الدين الإسلامي وحاجة المسلمين إليه، وقد وصلنا العديد من التصانيف من جدا وهزلا وتغريبا وتعجيبا، ولم تقتصر على القدامى فقط بل حتى عصرنا الحالي فتعد الأخبار من أكثر الأجناس الثرية المدينة اهتماما، لذلك نستعرض بعض الدراسات التي تناولت النص النثري العربي القديم.

1. الأخبار:

يعد "الخبر أصغر وحدة حكائية، ونميزه عن الحكاية بكون مركز التوجيه فيه يتمحور حول الفعل الحدث".[2]

وعليه فإن الخبر يعد فنا جامعا لمجموعة من الأنواع الأدبية استهدف جملة من الغايات المعرفية والأخلاقية والنفسية وكذلك إمتاع المتلقين، بمعنى أنه تعددت موضوعاته من الذكاء والزهد والتصوف والدعوة إلى التحلي بهذه الصفات الحميدة وإلى نبذ بعض السلوكات كالبخل والحمق، وكذلك تنوعت أهدافه من مدح الأذكياء

[1]– سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص 129.

2-سعيد يقطين :السرد العربي،مفاهيم وتجليات ، الدار العربية للعلوم، ناشرون،منشورات الاختلاف،ط1 سنة 2012 ص153.

إلى ذم الحمق والمغفلين وذم الهوى وإلى الدعوة إلى الزهد وترك ملذات الدنيا والرجوع والتوبة إلى الله.

من بين الدراسات التي تناولت الخبر بدراسة جاءت بعنوان الخبر الهازل في أخبار الحمقى والمغفلين.[1]

وتعني هذه بالبحث في تمظهرات الخبر الهازل وأشكاله لمدونة ابن الجوزي المعنونة بأخبار الحمقى والمغفلين" واستهلت هذه الدراسة بالتعريف بالفكاهة في مفهومها العام التي اقترنت بمصطلح الضحك والهزل، وهي موجودة في التراث الإنساني منذ الأزل وكذلك التعريف بالخبر الهازل وأنماطه، وتنقسم في مدونة ابن الجوزي بين الدعابة والهزل والنكتة واللغز والتغفيل، كما أن الأسلوب الذي اعتمده في عرض أخباره يجمع بين أسلوب مباشر وآخر حواري و عادة القصد منها الإمتاع والتسلية كقوله " وكان أعرابي يقول: اللهم أغفر لي وحدي فقيل له، لو عممت بدعائك، فإن الله واسع المغفرة فقال أكره أن أثقل على ربي"[2] فمثلا في هذا الموقف الكثير من الجدية لكن مؤلفه جعله هازلا ولكنه يخفي في طياته أنساقا تجمع بين النصائح والسخرية.

وكذلك قد تكون هذه المواقف الهازلة تصحيحا لخطأ أو تنبيه لفئات معينة ومنه فابن الجوزي ذكر في مدونته "أخبار الحمقى والمغفلين" العديد من المواقف الهزلية وأخذت أشكالا متعددة تعرف إما من خلال الشخصية الساردة للقصة أو من خلال إجابة أحد أبطال هذه القصص وتنقسم غالبا مضامين هذه المواقف الهازلة إلى أربعة أشكال أما الشكل الأول ويتمثل في التلاعب اللفظي ويدخل في هذا النوع كل القصص التي يرويها الأصمعي أو عبد التميمي أو إماما أو شاعرا.

[1]– قفصي عبيدة، الخبر الهازل في أخبار الحمقى والمغفلين، مذكرة ماستر في الأدب العربي القديم، جامعة محمد خيضر بسكرة سنة 2020م.

[2]– قفصي عبيدة، الخبر الهازل في أخبار الحمقى والمغفلين ، ص24.

أما الشكل الثاني ويستعمل فيه السارد بعض التشوهات الخلقية والجسدية التي تبعث على الضحك، أما الشكل الثالث فيتمثل في الألغاز ويعتمد فيه على الإيجاز ويبعث على السخرية أما الشكل الرابع والأخير ويتمثل في الحيلة وغالبا ما يرتبط بفئة الأعراب وتكون نادرا استعماله في هذه المدونة معتمد على أغراض كثيرة أهمها الاستفهام والتصحيف والتعجب وغيرها.

وعليه فأخبار الحمقى والمغفلين تحمل الكثير من المواقف الباعثة على الهزل والدعابة والفكاهة والضحك والسخرية بأسلوب بسيط ولكنه لا يخلوا من وسائل مشفرة ومبطنة فيها الكثير من المواعظ والنصائح.

أما الدراسة الثانية فيها كذلك الكثير من التوجيهات لترك التسويق والدعوة إلى الرجوع إلى الله من خلال النص الخبري الذي بين أيدينا والذي جاء بعنوان "احذروا ميتا فأذوه" وأذوه رجلا من عامة الناس ببغداد ومضمونه "أن رجلا ببغداد كبير الرأس، فيلي الأذنين،اسمه "فأذوه" رأسه في الأزمنة الأربعة مكشوف، لا يتورع عن ركوب مخزية، يقال له، يا فأذوه، ويلك ؟ تب إلى الله فيقول: يا قوم، لما تدخلون بيني وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده؟

فكان في بعض الشوارع يوما ذاهبا والشارع قد اتسع أسفله وضاق أعلاه والتقى جناحان فيه فناولت جارة جارتها مهراسا انسل من يدها على رأس فأذوه فهرس رأسه، وخلط كخلط الهريسة، وأعجله عن التوبة، وكان لنا واعظ صالح يقول لنا: احذروا ميتة فأذوه"[1]

من خلال هذا الخبر نقول أن فأذوه "استكثر على نفسه التوبة وعجل و سوف حتى لقى حتفه قبل أن يتوب ويعود إلى الله.

وفي هذا النص توجد عدة أنساق كامنة يمكن الكشف عنها على النحو الآتي:

[1]– هيثم أحمد محمد العزام، النقد الثقافي قراءة أخرى، الوراق للنشر والتوزيع، 2018، ص190، 195، 196،197.

1. **الخطـــاب الاجتمـــاعي:** لقـد صـيغ بعنايـة شـديدة، لا يفهـم منـه انحيـاز لعقيـدة أو مـذهب أو إيـديولوجيا، إنمـا صـياغة مجتمعـة بامتيـاز تطـرح بعـدا واحـد هـو صـيانة القـيم العليـا للمجتمـع (...) والـدليل علـى ذلـك أن الـنص قـد وصـف مـا قـام بـه فـأذوه بأنـه مخـز، والفعـل المخـز فعـل اجتمـاعي محايـد إذا لا نميـز بـه مجتمع عن غيره، وكل المجتمعات تستنكر الأفعال المخزية صيانة لذاتها.

كمـا يوجـد معطـى آخـر ألا وهـو الـدين وتمثـل فـي الـدعوة إلـى التوبـة مـن الأفعـال المخزية وهذه قيم مجتمعية موجودة في كل المجتمعات.

ونظـرة أخـرى للـنص تكشـف عـن نـوع مضـمرا آخـر مـن الخطـاب وهـو الخطـاب المذهبي.

2. **الخطـــاب المـــذهبي:** إن الـنص فـي هـذه القـراءة مـذهبي بامتيـاز وإطـاره المجتمـع مثلمـا كـان فـي القراءةالأولـى اجتمـاعي بامتيـاز لا يخلـو مـن مـذهب ،إن الموضـوع هنـا هـو الفعـل الإنسـاني وحريـة الاختيـار، إن الله خـالق الإنسـان وخالق عقله فبإرادته الحرة يقدم على الفعل، وبإرادته الحرة يحجم عنه.[1]

3. **الخطـــاب الحضـــاري:** لتطـرح القـراءة بعـدا أخـر كامنـا فـي الـنص، يمكـن تسـميته بالصـراع الحضـاري وهنـا يتبـين لنـا صـراع بـين حضـارتين الأولـى الحضـارة العربيـة الإسلامية منذ فجر الإسلام، والحضارة غير العربية.

فـإذا كـان فـأذوه بمنزلـه صـاحب الفيـل، فـإن طـائر الحـين هـو الـذي قضـى عليـه و الطـائر هـذا هـو المهـراس ، واشـتركا فـي الحـادثتين الأولـى والثانيـة بـأن دلالـة الفيـل دلالة تدميرية.

ولا يسـعنا القـول إلا أن نعجـل بـاب التوبـة ولا نكثـر مـن رجـاء العفـو فقـد تكـون العواقب وخيمة كما في هذا الخبر.

[1]– هيثم أحمد محمد العزام، النقد الثقافي قراءة أخرى، ص 202.

ونقول في الأخير أن فن الخبر بالرغم من اقتضابه وبساطة أسلوبه باعتباره وحدة حكائية صغيرة إلا أنه استطاع أن يحتل مكانة كبيرة بين الأجناس الأدبية ويحتل مركز التوجيه ليتمحور عليه بقية الأجناس الأخرى.

2. المقامات:

ومن هذا القبيل ننتقل إلى دراسة أخرى ولفن آخر والمتمثل في فن المقامة.

"تعد المقامات أبرز فن نثري لقى شهرة واسعة بعد نثر الجاحظ وقد أشتهر بهذا الفن الهمذاني وسطع نجمه كثيرا به، فسارت مقاماته على كل لسان يتندر بها الصغير والكبير، فكان أن نافست المقامات منافسة جديدة بيان الجاحظ الذي بسط سيطرته ردحا من الزمن على مملكة النثر العربي ودلت هذه المنافسة على عراقة أدب الجاحظ ومكانته وكما دلت عل حجم الأدب الموازي الذي سعى لإفتكاك هذه الزعامة.[1]

" وفي هذا الصدد توجد العديد من المقاربات النقدية المعاصرة التي اهتمت بالنص العربي القديم باعتباره نصا ثقافيا يحمل في طياته أبعادا نسقية تاريخية وثقافية واجتماعية، ومن هذه الدراسات نجد قراءة عبد الفتاح كيليطو للمقامات وجاءت موسومة: المقامات، السرد والأنساق الثقافية.[2]

وفي هذه الدراسة نظر "عبد الفتاح كيليطو" إلى المقامات على أنها أنساق ثقافية مضمرة تحمل في طياتها العديد من القراءات المتوارية والمتخفية في هذا النص.

وقد انطلق في تحديده لمفهوم "المقامة" من مبدأ الكل لتحديد الجزء والنظر إلى المقامة كنص منفتح على نصوص أخرى وكذلك دراسة مختلف السياقات التي نشأت فيها وأعتبر هذا الفن مستجد والذي انبثق من رأس مؤلفها وهو بديع الزمان الهمذاني

[1]– كحلي رابح: بديع الزمان الهمذاني وشعرية الكتابة المرموزة، قراءة في تقاطع مقاماته مع بلاغة الجاحظ، مجلة بدايات المجلد 05، العدد الأول جانفي 2023، ص 95–104.

[2]– عبد الفتاح كيليطو: المقامات، السرد، والأنساق الثقافية، تر عبد الكبير الشرقاوي دار توبقال للنشر، ط2001 م

فهو يرى أنه يجب عند قراءة نص المقامة أن نربطه بالسياق الثقافي الذي نشأ فيه، ومن ثمة فالمقامة عند كيليطو تخضع لأبعاد نسقية كما تخضع لأبعاد جمالية.

وقد كشف في دراسته هذه عن البنية المكانية والزمانية للمقامة ثم ربطها بالفضاء و الزمان الثقافيين وكما درس كذلك الشخصيات الأساسية في مقامات الهمذاني نجد (أبو الفتح الإسكندري وعيسى بن هشام) و كذلك مقامات الحريري ونجد (أبي زيد السروجي، الحارث بن همام) فهو كشف هوية هذه الشخصيات وكذلك ربطها بالأنساق الثقافية والبيئية التي نشأت فيها، لذلك فالقارئ هو الذي يتدخل ليقدم صورا مغايرة لحكايات المقامة من خلال الكشف عن الأنساق الثقافية المتخفية التي تفضح المسكوت عنه ومن ثمة هناك أنساق عامة تندرج تحتها أخرى فرعية مثلا: المركز والهامش "معالم الضياء وعوالم الليل" وكذلك الفساد والنقاء.

ويتجلى خاصة في المقامات عن طريق ما يسمي "الكدية" على أنه نسق مخاتل وهو الراوي في مقامات الهمذاني الذي يسرد قصص "المكدي" مستعملا الدين كغطاء لتصرفاته ثم يكشف لنا عن طريق أنساق متخفية دلالات جديدة هامشية منافية لما هو موجود.

كما كشف كيليطو عن مظاهر عامة للحياة الاجتماعية والسياسية الثقافية في العصر العباسي والتي حاول من خلالها أن يكشف عن هذه التجاوزات فهي تحمل الكثير من المتناقضات التي جسدتها شخصيات الهمذاني فهي عبارة عن قيم اجتماعية يناقض بعضها البعض كما نجد في المقامة "الخمرية" من خلال شخصية أبي الفتح الإسكندري" الذي ينتقل بين فضائين مختلفين فالأول ديني وهو المسجد والثاني وهو الحانة فالأول بشخصية ترمز للنسق الديني والثاني يكسر هذا النسق وهذا من أجل القبول الاجتماعي وتتمثل في شخصية منحرفة تذهب إلى الحانة فهو جمع بين المسجد والحانة وهو تناقض وخرق لما هو متعارف عنه فهو تمثيل للفساد وانهيار القيم الأخلاقية فالظاهر شخصية راقية والمتواري شخصية منحرفة.

وفي نسق آخر لقيم أخرى متناقضة في المجتمع العباسي تتمثل في العقل والجنون، فكثيرة هي المقامات التي تتغنى بالسخف والحمق والجنون وتحط من قيمة العقل فكأنها تسعى إلى كسر القيم الاجتماعية الإيجابية.

وعليه فعبد الفتاح كيليطو كشف لنا بهذه القراءة عن الأنساق الثقافية المضمرة في عباءة النص السردي العربي القديم المتمثل في المقامات.

ومما تقدم نستنتج أن المقامات من الفنون النثرية التي حققت شهرة واسعة النظير بعد نثر الجاحظ وأصبح خاصة الهمذاني من أشهر من كتب في المقامة وأصبحت المقامات فيما بعد تمثل ندا قويا لنثر الجاحظ وبلاغته.

3-الأدب الهازل عند الجاحظ:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت كتاب "البخلاء" للجاحظ ومن بينها القراءة التي قدمها حسين حليمي والمتمثلة في استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ "دراسة ثقافية في كتاب البخلاء"[1]

" ويقدم الجاحظ كتابه إلى المتلقي بأنه سيستفيد منه ثلاثة أشياء تبين حجة، أو تعرف حيلة لطبقة أو استفادة نادرة عجيبة و أنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد"[2]

يعد كتاب "البخلاء" للجاحظ من أهم الكتب التي كان لها بعد إيديولوجي وسياسي واجتماعي في قالب هزلي فكاهي، فحديث الجاحظ عن ظاهرة البخل التي كانت سائدة في العصر العباسي فهي تقودنا إلى البحث عن الأنساق المتوارية خلف نص الطمع والبخل وحديث الجاحظ عن البخل باعتباره ظاهرة دخيلة على المجتمع

[1]– د حسين حليمي: استقراء الأنساق الثقافية في فكر الجاحظ – دراسة ثقافية كتاب البخلاء، مجلة موازين، المجلد 03، العدد 01، سنة 2021.

[2]– ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1، 2005، ص378.

العباسي فهو يحمل نسقا اجتماعيا وبخلاء الجاحظ فالبخل عندهم إما أن يكون عادة منهم أو طبيعة فيهم والمقصود هنا والمضمر هم الدخلاء على الدولة العباسية وهم الفرس الذين نقلوا هذه الصفة إلى داخل الدولة العباسية وما يعكس هذا بأن الكرم هو طبيعة العربي الأصيل وكذلك يتمظهر لنا النسق الإيديولوجي للجاحظ نظرا لانتشار الشعوبية واختلاط العرب بالفرس وتأثيرهم في عادات وتقاليد المجتمع العربي.

ويعرض لنا الجاحظ مظهرا آخر "إذ يقول على لسان سهل بن هارون "إن للغنى سكرا وإن للمال لنزوة فمن لم يحفظ الغنى سكر الغنى، فقد أضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله" يعكس هذا القول مدى سخط الجاحظ على أصحاب المال ونظرتهم إلى الناس وكيف انعكست الموازين وأصبحت الناس تولي اهتماما كبير للغنى وأن كل الأنظار توجه إليه وجميع الناس تلهث وراءه"[1]

ويعكس لنا هذا النص نسقا مختلفا كما عرفته العرب فالنفس أصبحت تميل إلى البخل والطمع لا إلى الكرم وحب الخير للجميع.

كما يصور لنا الجاحظ أن البخلاء يجتمعون في المساجد وهم يطلقون مصطلح الاقتصاد في النفقة والخطاب المضمر مفاده أن هؤلاء البخلاء هم من المصلين فبدل أن يكون المسجد مكانا للأنفاق وظف لغير ذلك وبالتالي تعارض صفة البخل لما وظف الجاحظ صفة الانتحال ممن ينتحلون الاقتصاد في النفقة وهو دلالة على مدى تعارض صفة الإيمان مع البخل الذي يعد صفة ذميمة في الإنسان منبوذة في كل زمان ومكان.

كما سلط الجاحظ في كتابه البخلاء الضوء على قضية هامة وهي فقد الثقة بين الحاكم والمحكوم وجاءت نتيجة لمحاربة العرب من طرف الفرس ومدى تفشي ظاهرة البخل في المجتمع العباسي وهنا يبين لنا أنساق مضمرة متمثلة في الوضع

[1]– حسين حليمي ، استقراء الأنساق الثقافية في فكر الجاحظ، ص61.

الاجتماعي السائد آنذاك في العصر العباسي وتردي الحياة الاجتماعية وانتشار آفات عديدة وصفات ذميمة كالبخل فهي مخالفة لما كان سائدا من قبل في المجتمعات العربية الأصلية التي كانت معروفة بالكرم.

وفي الختام نقول إن الجاحظ قدم كتاب البخلاء في قالب هزلي وهذا ظاهره، أما باطنه فهو رصد لنا صورة عامة للحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الحقبة الزمنية وهو نقد لاذع للسلطة لتفشي ظاهرة البخل آنذاك وكذلك ظهور الشعوبية التي أثرت في المجتمع العباسي وأدت إلى ظهور الطبقية وتقسيم المجتمع العباسي.

وعليه فالجاحظ أسس لقيمة بلاغية نادرة يستعرض من خلال كتابه "البخلاء " رسائل مشفرة تحمل في طياتها الهزل والجد.

ومن خلال مما سبق نستنتج أن النثر العربي القديم ثرى بأجناس وفنون غنية بمواضيعها وعبرها صالحة لكل زمان ومكان فقد شكلت أخبار القدامى وسيرهم الشعبية ومقاماتهم مخزونا أدبيا ومادة خصبة للدراسة والمطالعة، وإن كانت بعض هذه الدراسات ذات طابع هزلي إلا أنها تخفي في طياتها الكثير من الرسائل المشفرة والمتوارية التي يجب الإحاطة بها من خلال استقرائها والاستفادة منها فأخبار الأذكياء لابن الجوزي مثلا وإن كانت في ظاهرها أخبار للأمم السابقة إلا أنها ذات مدلولات مبطنة قابلة للتأويل والشرح ولا يمكن الاستغناء عن استنتاجاتها، كما جاءت المقامة بكيان بلاغي جديد ويتمثل في "شعرية الكتابة المرموزة" والتي تحمل العديد من الرسائل الخفية لظواهر اجتماعية وثقافية وسياسية كانت سائدة آنذاك، أما بلاغة الجاحظ ومن خلال دراستنا لكتاب البخلاء ففيه الكثير من الأنساق المضمرة التي كشف لنا فيها عن تفشي ظاهرة البخل وكذا الطبقية وفساد السلطة السياسية، وما يمكن ملاحظته أنه يوجد العديد من التقاطعات بين هذه الأجناس النثرية فكلها تحمل في طياتها معالم الحياة الاجتماعية السياسية والاقتصادية السائدة في العصر

العباسي بأسلوب مشوق وذو أبعاد إيديولوجية وأخلاقية واجتماعية تعكس لنا مدى ثراء هذه المدونة النثرية العربية القديمة وتنوعها ومرونتها.

الفصل الثاني

تجليات الأنساق الثقافية في كتاب أخبار الأذكياء

لإبن الجوزي

نحاول في هذا الفصل إلقاء الضوء على مختلف الأنساق الثقافية في أخبار الأذكياء لابن الجوزي، وهو كتاب يحتوي على مجموعة من النوادر وطرائف الأخبار للعرب والصحابة والأمم السابقة ويتميز بروح الدعابة والفكاهة ومخاطبة العقل وما هي إلا أفكار وآراء تبناها المؤلف بغية إرسالها كرسائل مشفرة للمتلقي لتوعية وصقل معارفه وطباعه.

أولا: نبذة عن حياة ابن الجوزي (510هـ – 599هـ)

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن فقيه ومحدث ومؤرخ ولد تقريبا سنة ثمان أو سنة عشرة وخمس مائة ببغداد، وعرف جدهم بالجوزي بجوزة في وسط داره بواسط ببغداد، ولم تكن بواسط جوزة سواءها.

نشأ في عائلة ميسورة الحال، فقد كان أهله يعملون في تجارة النحاس، وهذا ما أهله للتفرغ للعلم.

قال فيه الذهبي:"كان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ وموصوفا بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيه، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار وإكباب على الجمع والتصنيف مع التصوب والتجمل وحسن البشارة ورشاقة العبارة ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحدا صنف ما صنف"[1]

توفي ابن الجوزي بعد مرض دام خمسة أيام ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء في الثالث عشر من رمضان المبارك سنة تسع وتسعين وخمسمائة :1200م، في دار له (....)، في الجانب الغربي من مدينة السلام ببغداد (...) ودفن هناك بالقرب من الإمام أحمد رحمهم الله.

[1]– مجموعة مؤلفين، زاد الواعظين، سيرة ابن الجوزي شيخ الواعظين، عدد ربيع الأول 1437، f/masjed Altawhed /www.altawhed .net

قال سبْطُه أبو المظفر: أوصى جدّي أن يكتب على قبره:

يَا كَثِيرَ العَفْو عَمَّنْ كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ

جاءك المُذْنِبُ يَرْجُو الـ صَّفْحَ عَنْ جُرْم يَدَيْهِ

أَنَا ضَيْـفٌ وجَـزَاءُ الـ صنِف إحْسَانٌ إِلَيْهِ

- **أهم مؤلفاته:**

- ذكـر العلـوجي أن مؤلفـات ابـن الجـوزي تزيـد علـى أربـع مئـة كتـاب (....) أهمها:

1. "إخبار أهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث" (...)
2. "أخبار الأذكياء، (...)
3. "أخبار الحمقى والمغفين" (...)
4. "أخبار الظراف والمتماجنين" (...)
5. أخبار النساء" (...)
6. بستان الواعظين ورياض السامعين"(....).
7. "بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب"[1]

ثانيا: تمظهرات الأنساق الثقافية في كتاب أخبار الأذكياء

إن الأنسـاق الثقافيـة المضـمرة تـتقن التخفـي داخـل النصـوص الأدبيـة، بغيـة تأويلهـا سياسـيا واجتماعيـا وثقافيـا وأخلاقيـا وتاريخيـا ويلجـأ إليهـا فـي حالـة العجـز عـن الإفصاح والبوح.

"يقـرأ الـنص والأنسـاق مـن وجهـة نظـر النقـد الثقـافي علـى أنـه حالـة ثقافيـة، وبـذلك فـالنص لا يكـون مجـرد خطـاب أدبـي جمـالي، النسـق دلالـة مضـمرة وهـذه الدلالـة

[1]– ابـن الجـوزي، أخبـار الأذكيـاء، دار ابـن حـزم للطباعـة والنشـر والتوزيـع، لبنـان، الطبعـة الأولـى، 2003م، ص 15، ص20، ص21.

ليست مصنوعة من طرف المؤلف فهي منغرسة في النص تؤلفها الثقافة ويستهلكها المتلقي"[1]

والمتصفح لأحداث أخبار الأذكياء يجد أن هذا الكتاب من نوع خاص، كتب في فترة شهدت تطورا أدبيا كبيرا، سلط الضوء على مجالات مختلفة نسجها بشكل فريد من نوعه، فما هو إلا حوصلة لتجارب عديدة، أما شخصية ابن الجوزي التي تتجلى من خلال مؤلفاته، فهو ذا ثقافة دينية لا يعلن أفكاره مباشرة بل يتخفى عبر حيل ثقافية يستعين بها بغية الوصول إلى أهدافه، وهذا لا يكون إلا بإمعان النظر والعقل، لذلك فكتابه احتوى على أنساق ظاهرة حملت في أعماقها الكثير من الأنساق المضمرة، حيث نسعى لتقصي هذه الأنساق وتحصيلها.

1- الأنساق الدينية:

يعد نسق الدين من الأنساق المتداخلة مع غيرها، فالإنسان مجبول عليه مهما كانت طبقته وجنسه بهدف إحداث توازن فكري واجتماعي للفرد.

فالنسق الديني: "عبارة حاوية للفروع والجزئيات والتفاصيل من اعتقادات وأقوال وأفعال، بحيث تساهم مجتمعة في إبراز خصائص ومميزات دين معينة ويعبر الشخص بتمثله لهذه الجزيئات والفروع على انتمائه لدين ما سواء كان إسلاميا أو يهوديا أو نصرانيا ..."[2]

وعليه فالنسق الديني يتمظهر في شكل نسق مضمر من دون وعي من المؤلف لأنه شعور دفين فينا ويستنتجه المتلقي من خلال القراءة.

وقد غلب نسق الدين على مدونة ابن الجوزي إلا أننا سنركز على بعض أنساقها لأن المقام لا يسمح بتتبع كل تمظهراتها.

---

[1]- عطية نسرين، كنتاوي محمد: مجلة لغة كلام: مخبر اللغة والتواصل جامعة غليزان الجزائر ص 398.

[2]- بورعدة نسرين، كرارمة يمينة، الأنساق الثقافية ودلالاتها في ديوان: بوح الرمق الأخير" لناديه العياطي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر لسانيات خطاب جامعة عين تموشنت الجزائر سنة الجامعية 2022/2021.

قوة الإيمان:

ومن المنقول عن عيسى عليه السلام خبر مفاده (أن إبليس جاء إلى النبي عيسى عليه السلام متسائلا، ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ فقال له إبليس.... ارم نفسك من الجبل فإن كان مكتوب لك السلامة فإنك ستنجو أو العكس فما كان من النبي إلا أن أجابه إجابة مفحمة، إن الله لا يختبر يا ملعون).

فالخطاب المعلن يتمثل في الحوار الذي جرى بين النبي عيسى عليه السلام وإبليس ولكن هذا الخطاب يخفي في طياته نسقا مضمرا ألا وهو الإيمان بقضاء الله وقدره خيره وشره، من خلال نص الخبر فإبليس يتساءل بنبرة استهزائية "ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟[1] وهذا استفهام إنكاري غرضه الاستهزاء والخبث يحمل في طياته نسق الضغينة والوسواس الذي لا ينفك يدسه في نفس الإنسان إلا من كان إيمانه قويا، فما كان إلا أن أجابه النبي "بلى"[2] وهنا مستعملا حيله ومكره للإيقاع بالنفس في دهاليز الشكوك والكفر وذلك بأن يرم نفسه من فوق الجبل، "قال فارم بنفسك من هذا الجبل، فإنه إن قدر لك السلامة تسلم"[3] وهنا تبرز شخصية إبليس في أنساق مضمرة كاللؤم والخداع، والإغواء والكبر والمكر، وفي المقابل نجد على النقيض شخصية النبي عيسى عليه السلام التي تحمل أنساق كالكرم والحكمة وقوة الإيمان. فأجابته ونعت إبليس بالملعون وهذا نسق يخفي في جوانبه خروج إبليس من الرحمة، وأنه كيف له أن يختبر الله عز وجل فما على العباد إلا الطاعة والإيمان وليس اختبار الله "فقال له: يا ملعون إن لله عز وجل أن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل"[4]

[1]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص44.

[2]– المصدرنفسه، ص 44

[3]–المصدر نفسه ص 44

[4]– المصدر نفسه ، ص44

ومن هنا يتبين لنا تمظهرت النسق الديني بأن إتباع إبليس اللعين معناه الخروج من الرحمة، الإلهية وخسارة وضياع في الدنيا والآخرة، لذلك وجب علينا طاعة الله عز وجل ومحاولة استدراك أخطائنا قبل مجيء يوم لا رجعة فيه وكذلك، فلا يمكن للعبد اختبار الله عز وجل، فالله وحده العليم بأخطائنا والاختبار وحده من الله عز وجل وأن لا ننحني لإغواءات إبليس وحيله ومكره بل نتحداه بالإيمان والطاعة.

والنص مفتوح على كل زمان ومكان، محفز على إعمال العقل والفطنة والنباهة والذكاء في كل حين، والعمل الدائم على تجاوز وسوسات الشياطين.

- **<u>حسن القضاء وهذا يعد النموذج المثالي للقاضي:</u>**

- والقضاءُ كما جاء في لسان العرب لابن منظور هو الحَتْمُ والأَمَرُ وقَضَى أي حكم.[1]

- ونحاول في النص الموالي كشف المخبوء خلف جماليات النسق الديني والمتمثل في سياق المنقول عن القضاة والنص مفاده (عن الشعبي أنه شهد مجيء امرأة عند شريح القاضي ، لتخاصم رجلا ،فبكت ، فقال للقاضي أظن أن هذه المرأة مظلومة، فرد عليه القاضي إن إخوة يوسف هم كذلك بكوا بعد رميه في الجب لما عادوا عشاء) وتتمظهر عدة أنساق مضمرة من خلال هذا الخبر أولهم نسق بكاء المرأة وخلافها مع رجل ولا ندري إن كانت في علاقة زوجية أم لا فلجوء هذه المرأة إلى القاضي معناه وصول الطرفين إلى طريق مسدود، لحل مشاكلهم وصراعاتهم فبكاء المرأة دائما يرمز إلى براءتها وضعفها لعدم استطاعتها إنصاف نفسها، وعلى ما يبدو إن هذه المرأة استعملت دموعها لتنال استعطاف القاضي بغية تحقيق هدفها

[1]– ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة حققها عبد الله الكبير وآخرون ، طبعة جديدة . ص 3665.

لنكتشف نسق أحد ألا وهو مدى وعي هذه المرأة وقوتها فهي لا تمثل صورة المرأة المسلوبة ولكن هذا تعبيرا من أجل تحقيق شيء في نفسها.

"وجاءته امرأة تخاصم رجلا، فأرسلت عينها فبكت."[1] فهذه الصورة الأولى التي تبدو لنا وهي المرأة الضعيفة المستكينة التي تسعى إلى كسب شفقة القاضي حتى تستفزه بدموعها لتنال ما تريد.

لكن قوة دهاء وذكاء القاضي آل دون تحقيق هدفها ويدل على بصيرة هذا القاضي التي تجعله يرى الأمور على حقيقتها من غير أي ضبابية، " فقلت يا أبا أمية ،ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال يا شعبي؟ إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءا يبكون"[2] ومن هنا يتمظهر سماحة وعدل القاضي وهذا الأخير فهو شخص ولي القضاء ليحكم بين المتنازعين لإرساء العدل وهو من أشهر قضاة المسلمين شريح بن الحارث وكان وافر العلم، غاية في الفهم وكان مأمونا في القضاء ويتبين هذا من رده على الشعبي، عندما رأى تلك المرأة تبكي بكاء شديدا وشبهها بإخوة يوسف وبكائهم رغم أنهم ظالمون وهذا يدل على أن القاضي كان من أعلم الناس بالقضاء فهو لا ينطوي عليه مثل هذا الخداع ويدل على رصانة القاضي وتريثه لمعرفة الحقيقة وسماع الطرفين، وهذا يدل على أن شريحا داهية كما يطلق عليه في المثل، إن شريحا أدهى من الثعلب.

وما يمكن استنتاجه أن حسن القضاء له أبعاد كثيرة في المجتمع أهمها العدل بين المتخاصمين وهذا بالوقوف في وجه الظالم من أجل الحفاظ على التوازن في المجتمع ورد المظالم إلى أصحابها وهذا نسق اجتماعي بغية تحقيق الاستقرار والأمن في المجتمع وهذا بتسليط العقوبة الملائمة حسب الخصومة ويكون بنصرة الضعيف ومعاقبة الظالم حتى لا تعم الفوضى.

---

[1]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص96.

[2]- المصدر نفسه،ص56.

لـذا فالقاضـي يلعـب دور فعـالا فـي المجتمـع سـواء مـن الناحيـة الأخلاقيـة فـي إرسـاء المبـادئ الأخلاقيـة مـن العـدل والمسـاواة وإنصـاف المتخاصـمين أو مـن الناحيـة الاجتماعيـة فـي إرسـاء دعـائم العـدل وإرجـاع المظـالم لأصـحابها وعليـه فالقاضـي العـادل هـو قـوة المجتمـع والدولـة، وهـو مـا يطمـح ابـن الجـوزي إلـى تحقيقـه فـي ظـل الدولة العربية المسلمة لإصلاح أحوال الناس ودرء المفاسد عنهم.

<u>– العدل والبصيرة وهذا يعد النموذج السلبي للقاضي:</u>

"العـدل مـن مكـارم الأخـلاق التـي تحمـي صـاحبها مـن الوقـوع فـي الخطـأ، ومـن ظلـم الآخـرين وخـداعهم، والمكـر بهـم، فمتـى تحـرى المسـلم العـدل فـي أقوالـه وأفعالـه أصـبح هـذا الخلـق مـن عادتـه وشـيمه، التـي لا تنفـك عنـه فـي ظـرف مـن الظـروف، فتزكـو نفسه وتطهر جوارحه، ويقي نفسه من الوقوع في ما يدنسها"[1]

وعليـه فالإنسـان يجـب أن يكـون صـالحا فـي دينـه ومعتـدلا فـي أقوالـه وأفعالـه لـذلك فالعـدل مزيجـا مـن القـيم الدينيـة والاجتماعيـة والأخلاقيـة وكلهـا تنبـع مـن مصـدر واحـد ألا وهو الاعتدال والإنصاف والاستقامة لنبذ الظلم و القهر.

وفـي هـذا الصـدد يخبرنـا ابـن الجـوزي فـي هـذا الـنص ومفـاده (أن صـبيا تظلـم علـى شـيخ لقاضـي دمشـق علـى أنـه ظلمـه و اعتـدى عليـه وأخـذ مالـه، فمـا كـان مـن القاضـي بـدل أن يسـمعه وينصـفه، نهـره ولـم يـرأف بـه ولكـن الصـبي فـوض أمـره إلـى الله، ورفـع هذا الخبر إلى الخليفة فأنصفه وعزل القاضي).

والأنسـاق المضـمرة التـي يمكـن اسـتجلاءها مـن نسـق العـدل مـن خـلال هـذا الخبـر أولا نبـدأ بـالحوار الـذي دار بـين الصـبي والقاضـي " فقـال أصـلح الله القاضـي هـذا الشـيخ ظلمنـي واعتـدى علـيّ وأخـذ مـالي، فقـال القاضـي: أرفـق بـه ولا تسـتقبل الشـيخ بمثـل هـذا الكـلام"[2] يتمظهـر تحـت فعـل العـدل، ثلاثـة أفعـال مشـينة فهـذا الشـيخ لـم يكتفـي بظلمـه

[1]– الدكتور مجيد خذوري، مفهوم العدل في الإسلام، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، ط1998،1 .ص 131.

[2]– ابن الجوزي أخبار الأذكياء، ص 263.

بل اعتدى عليه وسلبه ماله، فقد تعرض هذا الصبي إلى الظلم مرتين الأولى على يد الشيخ الذي تعرض لهذا الصبي بالظلم والاعتداء وبخسه لماله، لأن الأصل في المعاملات بين الناس إحقاق الحق والعدل وعدم إحقاقه يترتب عليه المخاصمات والمشاحنات كما في هذا الخبر.

أما الظلم الثاني الذي تعرض له هذا الصبي على يد القاضي أنه لم يسمعه بتمعن بل زجره بعبارة أرفق به ولا تتعرض له، لكن رد الصبي بقوله:"فقال إياس: أصلح الله القاضي، إن الحق أكبر مني ومنه ومنك ،قال: أسكت،قال: إن سكت فمن يقوم بحجتي ،فقال تكلم، فو الله ما تتكلم بخير، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له."[1]

وهنا يتبلور لنا نسق آخر لشخص القاضي ألا وهو ضيق الخلق وعدم العدل والإنصاف للمتظلمين والسماع لهم، فزجر هذا الصبي الذي كان على عكس القاضي ذا بصيرة وهنا يتبين لنا نسق آخر ألا وهو نسق البصيرة والفطنة.

والبصيرة: عقيدة القلب، قال لليث: البصيرة اسم لما أعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر، وقيل البصيرة الفطنة، تقول العرب: أعمى الله بصائره أي فطنه.[2]

فهذا الصبي المتمثل في شخص القاضي إياس بن معاوية فقد حياه الله بالبصيرة، فهي نور في القلب يبصر به العبد ما لا تبصره العين.

وما كان من القاضي إياس بن معاوية إلا أن رفع تظلمه إلى الخليفة "رفع صاحب هذا الخبر إلى الخليفة فعزل القاضي وولى إياس مكانه" [3]

وفي الأخير تتجلى لنا الفطنة والدهاء والذكاء والعدل في شخص الخليفة وتعامله الإيجابي مع هذا الموقف وخاصة بتوليته هذا الصبي القضاء رغم صغر

[1]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص 263.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ص 291.

[3]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ص 263.

سنه ولكن قوة بصيرته انتصرت، فالحكم بين المتخاصمين لا يكون إلا بالعدل وهذا لا يتحقق إلا بسماع المتخاصمين وعدم أخذ آراء مسبقة بل الإنصاف يكون مبني على النظرة الثاقبة والبصيرة وعدم التهور بل يجب الحكم بين المتقاضين بالعدل ولا يهم إن كان صغيرا أو كبيرا، فإقامة العدل مرهون بالتأني وسماع كلا الطرفين والتأكد ومن ثمة إصدار الأحكام كون العدل مقدس.

ومن ثمة فالأصل في المعاملات بين الناس أساسها الحق والعدل لأنها أساس الحياة حتى لا يتعرض الناس إلى البخس والظلم لتجنب الخصومات.

وكذلك ما يمكن أن نستشفه من شخص الخليفة عدله وعلو مكانته و شخصيته الفذة وخبرته وحكمته بإنصاف المظلوم وردع الظالم وأعطى لنا صورة مثالية لكيفية التعامل الحاكم مع المحكوم والنظر في المظالم بغض النظر على منزلة المشتكي منه فعزل القاضي دليل على قوة عدله و ما هو إلا تعبيرا عن رجاحة العقل وقوته.

الجنون:

حسب لسان العرب لابن منظور فالجنون" ...وقالوا : ما أجنه، قال سيبويه: وقع التعجب منه بما أفعله وإن كان كالخلق لأنه ليس بلون في الجسد ولا بخلقة فيه، وإنما هو من نقصان العقل" وحسب هذا الشرح فالجنون هو نقصان العقل قد يكون جزئي أو كلي.[1]

يخبرنا ابن الجوزي في ذكر طرف من فطن عقلاء المجانين أنه قال أبو محمد بن عجيف (مربي مجنون فناداه يا مجنون فرد عليه مستهزئا وأنت عاقل فقال: نعم فرد عليه أن كلاهما مجنون، فإن الأول جنونه جلي والثاني جنونه خفي وبين له فيما جنونه والتي تتمثل في عدم طاعة الله وعصيانه وطاعة عدوه).

[1]– ابن منظور لسان العرب، ص703.

ومن خلال ما دار بين المسمى نفسه عاقل والمجنون يتبين لنا من رده أن كلاهما مجنون وان ظهر على الأول (المجنون) فالثاني خفي (العاقل) فهناك جنون خفي والآخر جلي ويقول " كلانا مجنون، ولكن جنوني مكشوف، وجنونك مستور".[1] ومن هنا يتبين لنا نسق الجنون المتخفي وراء كل نفس عاقلة وان لم تبديه ، وهنا يبدو لنا تداخل مسلكين الجنون والعقل فهما يشتركان في جنس واحد وهو الإنسان وإن اختلفا.

ومن هنا يتمظهر لنا بعض الأنساق المضمرة في طيات هذا النص وذلك بإجابة المجنون المقنعة "قلت: فسر لي، قال أنا أخرق الثياب وأرجم، وأنت تعمر دار لا بقاء لها وتطيل أملك، وما حياتك بيدك، وتعص وليك وتطيع عدوك"[2]

فالنسق الأول الذي يمكن أن نستشفه هو نسق العبرة من هذه الحياة ما هي إلا دار فناء لا دار بقاء فالعاقل عندما طلب من المجنون التفسير أجابه عن نفسه أولا بقوله أنا أخرق الثياب وأرجم فهو إن رأى من نفسه الجنون، باعتبار الجنون هو إقصاء للعقل وذلك بالقيام بأفعال غير مألوفة وطبيعية تصنف في دائرة اللاعقل أما عن العاقل فقد أعطى له لمحة عن جنون من نوع آخر ألا وهو الانشغال عن الآخرة بالدنيا ونسيان أن أول دور للإنسان على هذه الأرض هو عبادة الله سبحانه وتعالى ويلهي نفسه بطول الأمل والتسويف حتى يأتي يوم الحساب لأن حياة الإنسان ليست بيده فهو معرض للرحيل دون رجعة، وهنا يتبين لنا غفلة الناس المتمثلة في السعي الحثيث لتحصيل المنافع الدنيوية إرضاء لعدوهم (إبليس الملعون) وتأخذهم الغفلة عن طاعة الله سبحانه وتعالى وطلب الغفران قبل مجيء يوم لا ريب فيه ومغادرة الحياة الدنيا دون الوصول إلى الهدف الأسمى المتمثل في الدخول إلى الجنة و إرضاء الله عز وجل.

[1]- ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ص 268.

[2]- المصدر نفسه، ص268.

فابن الجوزي هنا وفي كل أخباره فهو ذا نزعة دينية إنسانية يسعى إلى تقديم رسائل تربوية إصلاحية إلى المجتمع العربي وإلى الإنسانية جمعاء فهي صالحة لكل زمان ومكان فقد أعطى مثالا حي على ثنائية العقل والجنون وهذا من خلال الحوار الذي دار بين العاقل والمجنون و بين لنا أن الجنون الفعلي ليس لمن ذهب عقله بل من أغرته الحياة الدنيا ونسي الآخرة.

ثانيا: الأنساق السياسية

ومن خلال كتاب ابن الجوزي نلمس العديد من الأنساق الثقافية السياسية وسنعرض بعض النماذج منها.

- **الصراع السلطوي ويعد نموذج سلبي للحاكم:**

"انبرى الدارسون قديما وحديثا للحديث عن الحجاج بن يوسف الثقفي والهجوم على سيرته المليئة بالدماء والأشلاء والرؤوس المتطايرة على يديه فكان مما قاله الذهبي إنه كان ظلوما غشوما جبارا خبيثا سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن.

وقد اعتبره البعض مثل الحسن البصري أنه كان عذاب الله لعباده"[1]، ومن نماذج هذه الأخبار خبر مفاده (أن بلال بن أبي بردة الأشعري كان في سجن الحجاج، وكان يعذبه وكان كل من مات في الحبس يرفع خبره إلى الحجاج فيأمر بإخراجه وإعطائه لأهله، وما كان من أمر بلال إلا أن اتفق مع السجان بإعطائه مبلغا من المال مقابل إعلان وفاته، حتى يتسنى للسجان إخراجه لكن الحجاج أصر على رؤيته ميتا، فلم تنفعه حيلته فقتل بعد صلاته) .

[1]– منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، دار الكتاب دمشق القاهرة، ط4 ، ص 450.

وباستجلاء الأنساق الثقافية المختبئة تحت غطاء النسق السلطوي نجد الاستعلاء الذاتي ويظهر في شخص الحجاج "قد روى قديما مثل هذا أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج، وكان يعذبه."[1]

ومن خلال ذلك يتبين لنا بعض ملامح الحجاج فهو إنسان متفرد متميز بالبطش ذا شخصية حادة وعنيفة."مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته".

وهنا تظهر أول بوادر ظلم الحجاج من خلال شخص (بلال) وهو ضحية ظلم السلطة و فوقيتها، فابن الجوزي جسد من خلال النسق السلطوي صور عدة منها استغلال النفوذ و القهر السلطوي وكذا المعاملة غير الإنسانية التي يحظى بها سجناء الحجاج من دنو قيمتهم وأهانتهم بغض النظر إن كانوا ظالمين أم مظلومين.

وفي المقابل نجد المسجون المستسلم لسجانه، فالنسق الظاهر هو ضعفه وتنازله عن حقوقه وعدم الدفاع عنها، أما الأنساق الخفية نستشفها من خلال الربط بين الحجاج والدولة وأعوانها، وبين المسجون والسجان.

وهذا النسق السلطوي بين لنا طرق التخلص من خصوم الدولة سواء كانت بطرق مشروعة أم لا، ثم ينتقل إلى حوار آخر بين السجان والمسجون "فقال بلال السجان: خذ مني عشرة آلاف درهم، وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج غيري، وإن شئت أن تهرب معي فأفعل وعلي غناك أبدا، وأخذ السجان المال وأخرج اسمه في الموتى".[2]

ومن خلال حوار السجان مع المسجون يتضح لنا خيانة السجان الذي لم يحسب للعواقب الوخيمة التي ستنجر على طمعه، وحيلته غير المدروسة وغشه لحاكمه فحدت ما لم يكن في الحسبان والحيلة انقلبت عليهما بإخراج اسمه ضمن الموتى

[1]– ابن الجوزي أخبار الأذكياء، ص 151.

[2]– المصدر نفسه، ص 151.

لكن حيلة ودهاء الحجاج حالت دون إتمام مخططهم فما كان من السجان إعادة النظر في مخططه.

"قال: الحجاج قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتا قتلني وعلم أني أردت الحيلة عليه، ولابد أن أقتلك خنقا، فبكى بلال، وسأله ألا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى وصلي.[1]

فمن هنا نستشف نسق آخر ألا هو التأني وعدم استباق الأمور الذي أدي إلى عواقب وخيمة كما الحال في هذا الخبر، فتعجل موته بالاتفاق مع السجان وهذا الأخير لا يؤتمن جانبه فله أن يتلافى الاصطدام مع الحجاج خوفا من الموت "فإن لم أحضرك إليه مشيا قتلني"[3] فهو لا يجازف بحياته بالرغم من طمعه، وأما المسجون فهو قدم المال خوفا من الموت فكان سببا في قتله لذلك يجب التريث وعدم استباق الأمور.

وفي الأخير يختم ابن الجوزي هذا الخبر "فلما رآه ميتا، قال: سلمه إلى أهله، فأخذوه"[4] وتتمظهر لنا عدة أنساق مضمرة المتمثلة في نفوذ وتجبر شخص الحجاج كما يكشف لنا عن صورة الحياة المستبدة التي يطبعها التمادي في الغي واهانة الآخر والاستعلاء والتعنت التي تتجلى في عالم السادة والسلطوية وهذا يظهرمن خلال غاية ابن الجوزي في كشف عيوب الحاكم والسلطة وانحرافها عن المبادئ الأخلاقية والوازع الديني، كما نلحظ الذات المتعالية في شخص الحجاج باستحواذه على الواقع المكاني والإنساني والاستبدادي التي تعيشه الرعية الخائفة للطرف

[1]- ابن الجوزي أخبار الأذكياء، ص151.

[3]- المصدر نفسه، ص151.

[4]- المصدر نفسه، ص151.

الآخر، واستسلام الطبقة المحكومة التي لم تتحرر من قيودها الداخلية أولا والمتمثلة أساس في عامل الخوف ثم القيود الخارجية المتمثلة في الهيمنة السلطوية.

أما النسق السلبي فيبرز في شخصية (بلال) ويتمثل في خضوعه لسجانه وعدم الدفاع عن نفسه و كان مآله الموت بالرغم من محاولته التي باءت بالفشل وهو العارف بشخصية الحجاج الذي لا تنطلي عليه مثل هذه الحيل، فالأحرى كان عليه أن يتريث و لا يستبق الأمور.

- السلطان: ويعد نموذج إيجابي للحاكم المثالي.

فالسلطان حسب لسان العرب لابن منظور "السلطان: الحجة والبرهان، ولا يجمع لأن مجراه مجرى المصدر، قال محمد بن زيد، هو من السليط وقال الزجاج في قوله تعالى: "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين" أي وحجة بينة. والسلطان إنما سمي سلطانا لأنه حجة الله في أرضه"[1]

وتتجلى تمظهرات نسق السلطان من خلال هذا الخبر الذي أورده ابن الجوزي ومفاده أن (رجلا خراسانيا قد من بغداد للحج ومعه عقد فأراد بيعه فلم يوفق، فذهب إلى عطار موصوف بالخير فأستودعه إياه، ولما رجع من الحج طالب بأمانته وهو يحمل هدية لهذا العطار، فما كان من هذا الأخير إلا أنه تنكر له وقام برفسه ولم يصدقه أحد، بل حتى الناس أجمعوا على صلاح العطار ولما أصر هذا الرجل فما زاده إلا شتما وضربا، فما كان منه إلا أن ذهب إلى السلطان وأخبره خبره فنصفه وحل له مشكلته.)

ومن خلال نص هذا الخبر، هناك أنساق طاغية عليه ومتمثلة في النسق السياسي بغية تمرير رسائل مضمرة وتتمظهر هذه من خلال هذا الخبر ويتمثل في قدوم رجل غريب إلى بغداد وهنا تكمن القصة وكان معه عقد ثمين:"بلغني أن رجلا

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص 2065.

(خراسانيا) قدم إلى بغداد للحج، وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار"[1] وعليه فوجود هذا العقد الباهظ الثمن هو مفتاح هذا الخبر، ولكن لسوء حظه أنه لم يوفق في بيعه "فأجتهد في بيعه فلم ينفق"[2]

فما كان عليه إلا أنه بحث عن إنسان موصوف بالخير وكان عطار المدينة"فجاء إلى عطار المدينة فأودعه إياه..." [4] وهنا يتجلى لنا حسن السمعة لهذا العطار واتصافه بالخير وسداد الرأي وهذا ما يظهر للناس من خلال مظاهره الخداعة وتتمثل في" ثم حج وعاد، فأتاه بهدية، فقال العطار من أنت؟ وما هذا؟ فقال أنا صاحب العقد الذي أودعتك:"[5]وهنا يتجلى لنا صفاء سريرة الرجل وحفظه للود ورد الجميل ومجيئه بهدية لهذا العطار وفي المقابل نجد صفات أخرى تتجلى في شخص العطار ألا وهي خيانة الأمانة والاحتيال وهذا ما يبرر تصرفه ورفسه للرجل رغم أنه طالبه بإرجاع وديعته فقط "فلما كلمه حتى رفسه رفسة رماه عن دكانه، وقال تدعي علي مثل هذه الدعوى؟" [3]وهنا يتبين لنا نسق الإدعاء وذلك بإتهام الرجل مباشرة أمام الناس أنه لا يعرفه بل يدعي عليه زورا و بهتانا وإضمار ما يخفي وتستره على أمانة الرجل، أما موقف الناس فكان سلبي يتجلى في تصديق العطار دون تحري الصدق، ومثل هذا يفكك العلاقات الاجتماعية ويؤدي إلى تصدعها كيف ذلك؟ أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال ومعرفة الحقيقة.

كذلك يجب على كل إنسان قبل أن يتكلم أن يتوخى الصدق في أقواله وأفعاله لأنه أولا محاسب عليها وثانيا تؤدي إلى عواقب وخيمة اجتماعيا، لذلك فتصديق الناس للعطار أدى به إلى التمادي والغي على هذا الرجل المسكين بالرغم من صدقه

---

[1]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص82.

[2]– المصدر نفسه، ص82

[4]– المصدر نفسه، ص82

5– المصدر نفسه، ص82

[3]– المصدر نفسه، ص 82.

وتجنب الاصطدام مع العطار ومنه يتبين لنا الظلم الذي سلط على هذا الرجل الذي لم يصدقه أحد إلا أن أحد المارة دله وأرشده إلى الذهاب إلى السلطان والمتمثل في شخص عضد الدولة ."فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة فله في هذه الأشياء فراسة"[1] وهنا يتبين لنا أهم سمة يتسم بها هذا السلطان الفراسة وهذا يجعل من هذا الخبر يتجه لنا إلى اتجاه آخر ألا وهو قوة الدولة لا تتأتى إلا بسلطانها فعضد دولة أهم ما يتميز به الذكاء والفطنة ورجاحة العقل وسرعة البديهة وكلها أنساق مضمرة تتضح من خلال هذا الخبر وما كان من السلطان إلا أن أعطاه خطة محكمة بعد سماعه لقصته وتصديقه وأمره أن يذهب إلى العقار بكرة وأن يقعد على دكته فإن منعه فليذهب إلى دكة مقابلة له، من الصباح إلى المساء لمدة ثلاثة أيام متتالية وكان العطار يراه ولا يكلمه الرجل وفي اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة السوق وهو بموكبه العظيم."فلما كان في اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخراساني وقف وقال: سلام عليكم، فقال الخراساني ولم يتحرك: وعليكم السلام، فقال: أخي تقدم فلا تأنى إلينا ولا تغرض حوائجك علينا...."[2]

فإجابات العطار السريعة المتفق عليها مسبقا هي التي أخافت العطار وشعوره بالخوف الشديد فضحت كل شيء وهنا تبين لنا نسق آخر ألا وهو الخوف من السلطان ويخفي لنا مدى انقياد المحكوم للحاكم والخوف من العقوبة ولكن هذا لا يعكس لنا انصياع العطار وطاعته لحاكمه ولكن يتبين لنا خوفه من مآل فعلته وهذا ما يوحي سرعة تصرفه والتفاتته إلى الحاج وسؤاله "متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء كان ملفوقا؟ فذكرني لعلي أذكره"[3] وهنا يتجلى لنا صور واضحة لملامح شخصية العطار التي تتسم بالجشع والطمع واحتقار الآخر والنظرة الفوقية

[1]– المصدر نفسه ، ص82

[2]– المصدر نفسه، ص82.

[3]– المصدر نفسه، ص82.

وعدم احترام الأمانة وخيانتها وهنا يتبين لنا تداخل وتقاطع عدة أنساق كالأنساق الاجتماعية والمتمثلة في الطمع والجشع والأنساق الدينية والمتمثلة في خيانة الأمانة وعدم احترام العهود باعتبار أن العهد كان مسؤولا كما يتجلى لنا مجموعة من التمظهرات التي تتمحور حول شخصية السلطان و المتمثلة في عضد الدولة وهو الرجل المهتم بشؤون رعيته وغير رعيته من القادمين من أماكن خارج دولته بإحقاق العدل وإحكامه، من خلال فطنته وحسن تصرفه وكذلك سرعة بديهته ورجاحة عقله كل هذه المواصفات أهلته أن يكون عضد بمعنى حقيقي لدولته باعتبار أن السلطان هو حجة الله في أرضه ،ومن ثمة إنصاف الضحية ومعاقبة الجاني حتى يكون عبرة لغيره، "فعلق العقد في عنق العطار وصلبه، بباب الدكان ونودي عليه هذا جزاء من استودع فجحد"[1] وهنا يتجلى لنا جزاء الخيانة، فالجزاء من حسن العمل فنهاية هذا العطار كانت الصلب نتيجة لجحوده ما استودعه،وعاقبة جشعه وسوء سريرته ونفسه الأمارة بالسوء، بالرغم من سمعته الموصوفة بالخير إلا أن هذا لم يدم طويلا وافتضح أمره وكانت نهايته مأساوية إما الرجل بالرغم من معاناته إلا أن الله وحده أنصفه عن طريق عباده الخيرين فعضد الدولة كان مثالا حي لسلطان الراعي المسؤول عن رعيته الحازم في تصرفاته العادل وكذلك يتضح لنا مدى إعجاب ابن الجوزي بهذا الشخصية السياسية ويتجلى خاصة في مدحه والثناء عليه ووصفه بالفراسة وكذا وصف مركبه بالعظيم وكذا عسكره، وعليه فابن الجوزي يحاول من خلال هذا الكتاب تمرير أنساق عديدة تتضمن مدى إعجابه بسلاطين عصره وثناءه عليهم ويتجلى في ذكر الكثير من أخبارهم لأخذ العبر والموعظة وأخذ النصيحة ممن حباهم الله بالحكمة وحسن التدبير والتصرف.

[1]– ابن الجوزي ،أخبار الاذكياء، ص 82.

ثالثا: الأنساق الاجتماعية

المتصفح لكتاب أخبار الأذكياء يجد أنساق اجتماعية عديدة طاغية في نصوصه ولجوئه إلى حيلة الأنساق المضمرة، لتمرير رسائله المشفرة لغايات إصلاحية وقيم تربوية يسعى لكشفها ومن هذا المنطلق نستعرض بعض نماذج لأنساق اجتماعية وهي كالآتي:

- **التكدي والتسول:**

إذا كان اسم الكدية يعني عند سامعه تلك الطائفة التي جعلت من الاستجداء والكسب المشوب بالحيلة، معبرها للوصول إلى مال الآخرين"[1]

ونلمس هذه الظاهرة الاجتماعية الأدبية التي تفشت في المجتمع العباسي بداية من القرن الرابع وهي ردة فعل للفقر والطبقية، والتكدي فهو تحايل لكسب المال والطعام، وفي هذا الصدد نص مفاده أنه (خرج بعض الحذاق المكدين مع امرأته من بغداد إلى حمص واتفقا على وضع خطة للتكدي وجمع المال من هذا البلد)، فقد خرج هذا الرجل الذي وصفه ابن الجوزي أنه من الحذاق حسب لسان العرب لابن منظور "أن حذق، الحذق والحذاقة: المهارة في كل عمل"[2]

واتجاه سيرهما كان من بغداد إلى حمص:"خرج بعض الحذاق المكدين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته، فلما حصل بها، قال: إن هذا بلد حماقة ومال، وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني، فقالت شأنك"[3]

فهذا الرجل المكدى نعت البلد المقصود بأنه بلد حماقة ومال فوجهته كانت مدروسة ونيته أن يعمل حيلة يجني منها المال.

---

[1]– حسين إسماعيل عبد الغني: ظاهرة الكدية في الأدب العرب نشأتها وخصائصها الفنية، مكتبة الزهراء القاهرة مصر ط1/1991، ص22

[2]– ابن منظور لسان العرب، ص 811.

[3]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص 141.

واتفقا هذا الرجل وامرأته التي وافقته على ذلك على وضع خطة للتكدي وأول ما بدأ به طعامه وأن تأتي به زوجته وقت الظهيرة عندما لا يكون الناس ووضع العجينة في مكان معين ثم غير من هيأته حيث لبس لباس الصوف ليوهم من حوله أنه رجلا متصوف ثم لزم مكان يمر عليه الناس فأخذ يصلي الليل والنهار "فصلى نهاره أجمع وليلته أجمع، لا يستريح إلا في الأوقات المحظور فيها الصلاة" [1] وبالتالي قد أعطى صورة وانطباع أولي لمن رآه أنه رجلا متدين، ونتيجة لهذه التصرفات الغريبة من رجلا غريب عن هذا البلد أنه وضعت عليه العيون وراقبه الناس حيث تبين لهم أنه لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام وقد اختار وقت الهاجرة ليذهب ويأكل ويشرب الماء في العتمة أو في الليل ثم يعود إلى مكانه "وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ولا يذوق الماء فعظم شأنه عندهم، فقصدوه وكلموه فلم يجبهم...." 4 وعليه فأهل حمص عجبوا لأمره وأخذوا يتقربون منه وهو لا يكلمهم وأخذت منه هذه الحيلة مدة سنة كاملة، ولما تيقن أن خطته قد نجحت انتقل إلى المرحلة الثانية والمتمثلة في اجتماعه مع زوجته واختار أن تأتي يوم الجمعة وتلطمه وتطالب بقتله قصاصا لابنها الذي قتله ببغداد وفر هاربا إلى حمص ليبتعد وأن لا تقبل بأي دية وتطلب حمله إلى السلطان ليبث في أمرهم وأن يكون مقدار المال كبير فداء قتل ابنها.

ومن هنا يتبين لنا احتيال هذا الرجل وتسوله لجني المال فهو احتال على الناس بخداع قلوبهم وعقولهم فظنوا به الخير وهذا نوع من التكدي السلبي، فهذا الرجل يحترف الكدية التي تعد من أبرز الظواهر الاجتماعية في المجتمع العباسي.

وبعد تمام الخطة والحصول على المال والوصول إلى المبتغى فمنه تبرز لنا شخصية هذا الرجل الذي امتهن الاحتيال والتسول وما هي إلا شخصية متوكلة

[1]- المصدر نفسه، ص141.

4- المصدر نفسه، ص141

تعتمد على الغير بامتهان هذه الأساليب وعليه المكدي يتسم بالدناءة فهو يتخذ الطرق غير الشرعية لكسب المال ومنه فالشخصية كما تبدو في هذا الخبر سلبية ذليلة تبتغي الغني بذل النفس وأخذ مال الغير بغير حق، فطبعه سقيم فجعل طريقة التكدي لجني المال بدل السعي إلى الرزق.

وفي الأخير وفي تمام هذا الخبر يعترف هذا الرجل بقتله ابن المرأة ويطلب القصاص لأنه ندم وتاب بالرغم من عدم تصديقها من طرف أهل البلد " وقد كنت رجلا في ريع وخسارة، فقلت ابن هذه المرأة، وتبت وجئت إلى ها هنا للعبادة"[1]

وبعد تشاور بين أهل هذا البلد اتفقا على إعطاء هذه المرأة دية مقابل أن تترك هذا الرجل الذي في نظرهم صالح وجمعوا لها المال ولما أدركت أنها وصلت إلى مرادها قبلت وبرأته من دم ابنها "فأخذت ذلك وأبرأته من الدم وانصرفت"[2]

وهنا يتضح لنا مدى سذاجة هذا القوم الذين لم يأخذوا على أنفسهم حتى التحري على شخص هذا الرجل بالرغم من شيوع خبر المستولين والمحتالين آنذاك.

وهذا يوافق ما نعتهم به الرجل أول مرة أنهم بلد حماقة ومال " وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياما يسيرة، حتى علم أنها قد بعدت، ثم هرب في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر، حتى انكشف لهم أنه كانت حيلة بعد مدة طويلة"[3] وهنا تبين لنا خطة هذا الرجل الخسيسة والوضيعة للعيش الرغد وغباء القوم.

ومن هنا فابن الجوزي يلفت انتباهنا إلى ظاهرة اجتماعية سلبية تفشت أنذاك خاصة في المجتمع العباسي فهي أفعال غير سوية ومذمومة وأراد أن يرسل رسائل عن طريق هذه النصوص لما فيها من توجيهات غير مباشرة ورسائل تعليمية بغية

[1]- ابن الجوزي أخبار الأذكياء ، ص141.

[2]- المصدر نفسه، ص141.

[3]- المصدر نفسه، ص141.

تجنب هذه الظاهرة التي تذل النفس وتحط من كرامتها فالدين الإسلامي دعى إلى بذل الأسباب لكسب المال الحلال بالجد والاجتهاد لا بالكسل والتوكل لأن إتباع هذه الأساليب الذليلة والتي من شأنها أن تشجع الخضوع وتوسع من دائرة الفقر وكذلك لا تشجع على العطاء والإنفاق وعليه فهي من الآفات الأخلاقية والمرضية التي تضر بكيان المجتمع فتجعل منه حاقدا ممتهنا اللصوصية للاستيلاء على أموال الغير وكذا الربح السريع والاستجداء.

وأراد كذلك أن ينبه الحكام لضرورة الاهتمام بالرعية فتفشي هذه الظاهرة ما هي إلا نتيجة حتمية لسوء الأوضاع وازدياد الفقر باعتبار أن التسول و الاحتيال هو توأم الفقر فعامة الناس تعاني الحاجة والتهميش فلجوء الناس إلى هذه الظاهرة وإلى مراكز الحكم للاحتيال وكذا اعتمادهم على طرق عديدة كالفصاحة وبالتالي فالخلفية الاجتماعية هي الحد الفاصل لهذه الظاهرة.

<u>جدلية الموت والحياة</u>:

" الموت هو الحكاية الأكثر اكتمالا، نحن نواجه تيمة الموت على علم مسبق بأن نمسك بكل ما سبق تلك اللحظة، لن نخشى أن يطرأ طارئ من بعدها مثلما يأتي الموت من دون سبب فإن الاحتفاء به أيضا لا يحتاج إلى سبب كل حياة مآلها الموت وكل موت فاتحة حكايات"[1]

يخبرنا ابن الجوزي في أخبار اذكيائه (أن ابن طولون خرج يوما فرأى حمالا مضطربا يحمل صندوق، فلفت انتباهه، فتسائلا هل هذا الاضطراب من ثقل الحمولة أم لاشيء آخر؟ وبعد استقصاء الأمر تبين له أن الصندوق به جارية ميتة).

[1]- سعد الخطيني روائي جزائري، صفة ثالثة منبر ثقافي عربي، 25 ديسمبر 2022. DIFFAH.ALARABY.CO.UK

فهذا الخبر في ظاهره يحمل نسق الموت لكن البحث في طياته يتبين لنا عدة أنساق مضمرة باعتبار أن الموت هو نسق متجذر في الحياة، وابن الجوزي يبين لنا أن من وراء هذا الحمال لغز، فالموت ليس طبيعيا بل كان بفعل فاعل وعليه يجب أن يعرف المجرم ويحاسب "ورأى ابن طولون يوما حمالا يحمل صندوقا وهو يضطرب تحته فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال وأن عنقه بارزة وما هذا إلا من خوف ما يحمل."[1]

فهنا يتبين لنا إن ابن طولون لم تنطو عليه الحيلة فالغدر والجريمة هنا تخترق الموت، فذكاء ابن طولون واعتماده على حاسة البصر تمكن من اكتشاف الجرم فهو قال" رأى ابن طولون " فله قوة النظر أمكنه من اكتشاف أمر هذه الجريمة ليتبين وجود جارية ميتة وما اضطرابه إلا من خوف ألم به ."فأمر بحط الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال أصدقني عن حالها؟ فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة"[2]

ومن هنا يبرز نسقا آخر له دور بازا في الخبر ألا وهو الشر الموجود في كل زمان و مكان فهو يعبر عن الخيانة وعلى سلوكات وأفعال غير مقبولة ومجرمة اجتماعية ودينيا وبناء على ما سبق فما كان من الحمال الذي لا سبيل له إلا أخبار ابن طولون عن سر هذه المقتولة والتي نقلها مقابل دنانير.

بأنها قتلت وقطعت، ويبين لنا مدى شناعة هذا الجرم، فابن الجوزي يقدم لنا أنساقا ثقافية متناقضة كالنثر والخير والموت والحياة، والرحمة والقسوة، فكلها متناقضات متجذرة في الوعي الإنساني وفي المجتمعات على مر الأزمان.

ويختم لنا هذا الخبر بالجزاء "فضرب الحمال مئتي عصا وأمر بقتل الأربعة".[3]

---

[1]- ابنا الجوزي، أخبار الأذكياء، ص 89

[2]- المصدر نفسه، ص89.

[3]- ابن الجوزي أخبار الأذكياء، ص 89.

فالجزاء من جنس العمل ويتجلى لنا نوعان من الجزاء فالأول يتعلق بالحمال الجشع منعدم الإنسانية، فدنانير أفقدته إنسانيته وكلفته مئتي عصا، أما النوع الثاني المتعلق بالأربعة البقية والجزاء كان القتل لما اقترفت أيديهم وبشاعة صنيعهم.

ونستشف كذلك من وراء هذا النص العديد من الأنساق المضمرة التي تتجلى في شخصية ابن طولون التي تتمتع بقوة البصيرة فبحنكته وذكائه استطاع كشف خيوط الجريمة بالعين المجردة وبالتالي تطبيق العدالة والمتمثلة في عقاب الحمال وأخذ جزاءه لعدم تبليغه عن الجريمة واكتفى بالسكوت والخنوع وربما لحاجته للمال وهذا ليس عذرا أو لعدم اهتمامه، وكان بإمكانه أن يكون شخص إيجابي ويقوم بواجبه الإنساني أولا والاجتماعي لإحقاق العدل، أما الأربعة الآخرون فجزاءهم القصاص العادل ألا وهو الموت وبه يختم المؤلف قصته بنسق الموت والعودة إليه مرة أخرى ولكن بتحقيق العدل وردع المجرمين حتى يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه قتل النفس بغير حق وإزهاقها من غير رحمة، فالموت حاضرا ولكن تختلف أنساقه.

وكذلك أراد المؤلف من وراء هذا النص أن يرسل لنا رسائل مشفرة ونصائح لكل مسؤول، الكل حسب مكانته ومنصبه ويجب توخي الحذر وإعمال الفكر والدقة في الأحداث فكأنه يحذر المسؤول من مغبة التراخي على صغائر الأمور وعدم التدقيق في المسائل فهذه حتما تؤدي إلى نتائج وخيمة كذلك فعلى كل راع أن يكون مسؤولا عن رعيته لأنه محاسبا عليها في الدنيا والآخرة، وأن يكون يقظا حذرا مدققا في كل المسائل وألا يفوت أي تفصيل وإشراك القلب والعقل وإمعان النظر والبصيرة لردع المقصرين حتى يستقيم ذي عوج، ويعاقب كل فاسد وينال كل مقصر جزاءه حتى تستقيم شؤون الرعية والحكم لذلك فعلى المسؤول أن يكون مثالا يقتدى به، وهذه من بين الرسائل المشفرة التي يحرص ابن الجوزي إرسالها لغيره والحث على الإستقامة و إعطاء كل ذي حق حقه والقصاص العادل لكل من أذنب وارتكب المخالفات.

- الدهاء والحيلة:

الدهاء شكل من الذكاء والفكر وأسلوب معرفة وهو عبارة عن مجموعة مركبة ولكنها مترابطة أشد الترابط من التوجهات العقلية والسلوك الفكري، تجمعا لحس الفطنة والتنبؤ والملاينة والمخادعة والمكر والنباهة والبديهة والمهارات المختلفة والحنكة.[1]

من خلال النص الأتي يخبرنا ابن الجوزي :(يخبرنا أن رجلين اتهم بالسرقة وجيء بهما إلى ابن النسوي حتى يتسنى له معرفة أيهما الجاني ،فقام بكسر جرة الماء عمدا لاختبار السارقين ومعرفة مدى صلابة كلاهما وردود أفعالهما ،فالأول انزعج والثاني تماسك فما كان منه إلا إن أمر الأول بالانصراف والثاني برد ما أخذ).

وهنا يتمظهر تحت النسق الظاهر ألا وهو عدل وفطنة ابن النسوي أما النسق المضمر والخفي فيتمثل في حيلة وذكاء ودهاءه حين طلب شرب الماء "ثم قال شربة ماء (....) فانكسرت[2]، فهذه التجربة التي أقامها على السارقين وإتباعه خطة محكمة لاختبارهما والكشف عن مدى صلابتهما فالمتعارف عليه أن اللص دائما يكون صلبا وجريئا لأن أخذه مال الغير ليس بالسهل على من قلبه هش ولين ومن مواجهة المجهول وكذا التحسب لكل الظروف، وفك شفرة من السارق؟ والإيقاع بالجاني وهذا لم يكن بالقوة والشدة بل بالعقل واللين " فأنزعج....وثبت الآخر"[3] وهنا تسائل اللص كيف عرف ذلك ؟وكانت إجابة ابن النسوي (إن اللص قوي القلب)[4].

---

[1]- لمى إبراهيم فياض الدليل إلى القوة والدهاء، 11 نيسان 2021 لبنان www.LamaFayyad.Word.pRESS.com

[2]- المصدر نفسه ،ص 92.

[3]- المصدر نفسه ،ص 92.

[4]- المصدر نفسه ،ص 92.

ومن هنا يتضح نسق آخر المتمثل في التجرد من الإنسانية فالسرقة تحتاج إلى شخص صلبا جلدا حتى يقوم بمهمته.

ثم يتمظهر نسق آخر ألا وهو الحيلة وإعمال الفكر والفطنة والذكاء وهذا يتجلى في شخص ابن النسوي حيث استطاع كشف اللغز ببساطة ولكن بحيلة بسيطة أوقعت اللص ضعيف العقل صلب القلب وهذا يشابه هزيمة غزوة الأحزاب فما كان إلا بالحيلة والدهاء ليس بالسيف.

"فالحيلة هي الحذق، ودقة النظر والقدرة على جودة التصرف وهي التلطف في الصنعة والتدبير والتحميل في إتقانها أي أنها الوسيلة إلى تحقيق هدف من الأهداف المحمودة أو المرذولة"[1]

وهنا كذلك في هذا النص يتجلى لنا أسلوب ابن النسوي وطريقة تعليمه فهو لم يتبع أسلوب التعليم المباشر، بل أسلوب الحيلة وجودة التصرف وهنا نثني على هذه الحيلة التي ما هي إلا ثمرة العقل وهي مستحسنة، وقيل "ملاك العقل الحيلة، وأضعف الحيلة أنفع من كثير الشدة"، ولذلك فاللص مهما كان ذكاؤه وخبرته فلابد أن يقع فالحق دائما يظهر مهما كانت الظروف.

الحمق:

وفي هذا الصدد اخبرنا كذلك ابن الجوزي فيما يرويه الأصمعي(أنه قال لغلام حدث السن هل يسره أن أعطاه ألف درهم وهو أحمق فما كان من رده لا ولله، وأنه يخاف أن يجني هذا الحمق عليه، فيفقد المال ويبقى هذا الحمق).

ويتبين لنا نسق الدهاء والحنكة لهذا الصبي حدث السن عندما سأله الأصمعي "أيسرك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق"[2] فسؤال الأصمعي في الكثير من الحيلة حتى يمتحن عقل هذا الصبي بطلبه هذا ولكن جواب الصبي جاء بالرد "لا

[1]- لمى إبراهيم فياض، الدليل إلى القوة والدهاء، ص54.

[2]– ابن الجوزي ، أخبار الأذكياء ص264

والله" لأنه يعلم أن عواقب الحمق وخيمة على نفسه وعلى غيره وأعطى له تفسيرا منطقي وأنه بهذا الحمق يفقد المال ولكن في المقابل يبقى هذا الحمق يرافقه لأنه لاشيء يهزم الإنسان أكثر من حمقه وسذاجته "أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب مالي ويبقى حمقي"[1] وهنا بين لنا أن حمقه قد يكلفه مشكلة فيذهب كل ما عنده ويبقى أثره المتمثل في المصيبة التي ارتكبها بحمقه وقلة عقله ونقصه لذا قيل "شجاعة بلا دهاء مثل رجل بساق واحدة" لأن إعمال الفكر والعقل واستخدام الحكمة ما هي إلا حيل للخروج من مآزق صادفتنا أو وقعنا فيها وهذه من بين الرسائل التي أرسلها لنا ابن الجوزي للاتعاظ وهنا يبين لنا إن عاقبة الحمق وخيمة لذلك يجب تجنبه والحث على إعمال العقل لتفادي المشكلات.

الطمع والجشع:

فالطمع: ضد اليأس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلمن أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى.[2]

أما الجشع: أسوأ الحرص: وقيل: هو أشد الحرص على الأكل وغيره وقيل هو أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك.[3]

من الأخبار الطريفة التي يرويها أبو حنيفة عن نفسه أنه قال: (كان في سفر طويل واحتاج إلى الماء وكان في البادية، جاءه أعربي بالماء ولكن رفض إعطاءه إياه إلا بمقابل ألا وهو المال فما كان منه إلا الاستجابة لطلبه ولكن استعمل معه حيلة فدعاه إلى أكل حلوى فشعر الأعرابي بعطش فقابله أبي حنيفة برفض إعطاءه

[1]– المصدر نفسه ،ص264

[2]– ابن منظور لسان العرب ،ص2704

[3]– المصدر نفسه،ص264

الماء إلا بالمال فأسترد دراهمه).[1]

ومن هذا الخبر يتمظهر لنا الجشع وخبث النفس ودماثة طبع الأعرابي الذي لم يجود بالماء فجاء الرد جزاء صنيعه"فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة."[2]

فشخصية الأعرابي المليئة بالخبث وسوء الطبع واللؤم أبانت من خلال استغلال فرصة العطش الشديد لأبي حنيفة حتى يجني المال منه ،لكن كما يقال السحر انقلب على الساحر وذلك بدعوة الأعرابي لأكل حلوى السويق "فأعطيته سويقا ملتوتا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش"[3] وفي مقابل جشع الأعرابي نجد شخصية أبي حنيفة المتسمة بالذكاء وحسن الطبع وبحيلته أن دعاه إلى أكل الحلوى فعطش فطلب منه أن يناوله شربة ماء لكنه رفض كما أبى هو سابقا ولا يكون إلا بمقابل خمسة دراهم فهو اشترى شربة بخمسة دراهم بدل من القربة "فقال شربة؟ قلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء"[4]

فالأعرابي وقع في شر أعماله فخسر الاثنين الماء والمال "فاستردت الخمسة وبقي معي الماء"[5]

ومن هنا يتبين لنا نسق آخر ألا وهو الكرم فالإنسان يجب أن يروض نفسه على فعل الكرم والجود وأن لا يبخس الناس أشيائهم كما فعل هذا الأعرابي فدائما ينتصر الكرم على الجشع والبخل والخير على الشر فهذه الثنائيات دائما موجودة في الإنسان لكن عليه أن يختار بينهما ،وأن ينتصر دائما للخير والمنطق والكرم ولأن

[1]- ابن الجوزي ،أخبار الأذكياء,ص268

[2]- المصدر نفسه، ص 109

[3]- المصدر نفسه، ص 109

[4]- المصدر نفسه، ص 109

[5]-المصدر نفسه، ص 109.

عاقبة الجشع وخيمة تعود على صاحبها ومن ثمة علينا تفاديها بسماحة الخلق والصدر الرحب.

المرأة: نموذج المرأة في المجتمع العربي القديم.

" إن موقف الدين بوصفه وحيا منزلا وبوصفه دين الفطرة يعطي للمرأة حقها الطبيعي، ولكن الثقافة بوصفها صناعة بشرية (ذكورية) تبخس المرأة حقها ذاك وتحيلها إلى كائن ثقافي مستلب، وهذا ما يجعل تاريخ المرأة استشهادا طويلا كما تقول مي زيادة."[1]

لقد قدم لنا ابن الجوزي صور مختلفة وأوجه عديدة للمرأة منها: المرأة الخائنة ، المرأة الجلدة ،المرأة الذكية...فالمرأة محور سير الأحداث فتتشكل شخصيتها حسب أبعاد كثيرة نفسية، اجتماعية، أخلاقية، سياسية، والنسق الثقافي الظاهر في صورة المرأة يحمل أنساق مضمرة عديدة يجب الكشف عنها.

1-المرأة الجلدة: وهذا يعد نموذج مضيء وإيجابي

يبين لنا ابن الجوزي دلالات مختلفة للمرأة ولتأنيث النسق وصورة أخرى مختلفة لانكسار نموذج الخوف عند المرأة وتجلدها في مجابهة الصعاب والظروف الطارئة.

والجلد عند ابن منظور: القوة والشدة، وفي حديث الطواف: ليرى المشركون جلدهم الجلد القوة والصبر، ومنه حديث عمر: كان أخوف جلدا أي قويا في نفسه وجسده والجلد: الصلابة والجلادة[2]. ويتمظهر عن هذا النسق أنساق مضمرة كثيرة.

إن أول ما يصوره لنا ابن الجوزي عن هذا النسق وهو المرأة الجلدة "كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة"[1]

[1]- عبد الله الفذامي ، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي ، االدار البيضاء، ط3/2006، ص17.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص 654.

والمتأمل في نص هذا الخبر يلاحظ منذ البدء أن هذه المرأة صوامة قوامة جمعت بين نسقين مضمرين هما الورع والتقى، ويقدم لنا كذلك صورة ضمنية عن المرأة الممتثلة لتعاليم الدين الإسلامي من صلاة وقيام وهذا يزيد من قيمتها ورفعتها، ويقوم سلوكها.

كما نجد نسقا آخر يتجلى في قوله" وكان لها، ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره ، ثم يعود عشاء إلى منزله فيجني كسبه عند والدته ويمضي يبيت في مواضع يشرب فيها"[2]

وهنا يتبين صبر هذه المرأة العجوز على ابنها وتفانيها في خدمته بالرغم من سلبيته، كما يبين لنا أن هذه المرأة كبيرة في السن فهو نعتها بوصف العجوز.

وتعيش الوحدة لأن ابنها نهاره في دكانه وليله في أماكن الشرب، ثم يصف ابن الجوزي بيتها وكيف تخبئ نقود ولدها "ثم جلست فأفطرت بين يديه....فلما أفطرت قامت تصلي ومدت الصلاة....."[3]

ثم يظهر نقيض هذه العجوز الجلدة، اللص وهو الذي حاول أن يفزعها " وأقبل ينزل على الدرجة ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز"[4] وهنا يبين لنا وجه سلبي آخر وهو اللص الذي أخذ مال الغير وكذلك قام بتخويف هذه المرأة لكنه في المقابل لم ينجح بسبب تجلد هذه المرأة وهنا يكشف ابن الجوزي عن أدبيات متجذرة في المجتمع أولها التجلد حتى وإن كانت هذه المرأة خائفة، " وكانت جلدة، ففطنت أنه لص، فقالت من هذا؟ بارتعاد وفزع" [5] وثانيها الفطنة وحتى إن ادعت الخوف

---

[1]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص 257.

[2]– المصدر نفسه ، ص 257.

[3]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ، ص 257.

[4]– المصدر نفسه، ص 257.

[5]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ، ص 257.

فهذا ضمن خطتها للإيقاع بهذا اللص الذي سولت له نفسه الدخول إلى بيوت الناس والتهجم عليهم وترويعهم .

فهنا أظهرت العجوز التجلد والفطنة لمجابهة هذا الظرف الطارئ الذي لم يكن في الحسبان "فأظهرت أنها قد عشي عليها من الجزع"[1]

ثم يدور حوار طويل بينها وبين اللص الذي ادعى أنه جبريل جاء ليؤدب ولدها " فقال أنا جبرائيل...). ولكن بذكائها استطاعت أن تحكم إغلاق الباب على اللص ورغم توسله لها أن تتركه ليخرج وأن ابنها قد اتعظ، "فأحس أنها جلدة، فأخذ يرفق بها ويبذل التوبة، فقالت له دع عنك، لا سبيل للخروج إلا بالنهار وقامت فصلت وهو يسألها حتى طلعت الشمس"[2]

وما يستشف من هذا الخبر أن هذه المرأة بحنكتها وذكائها استطاعت أن توقع هذا اللص في شر أعماله وكذلك رجحان عقلها الذي تبين من خلال تفوقها عليه وبسط هيمنتها عليه منذ البرهة الأولى بالرغم من أنها عجوز.

أما عاقبة هذا اللص فهي معروفة ونهاية درامية " وجاء ابنها وعرف خبرها وحدثته، فأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص"[3]

وفي الأخير يتمظهر نسق أخير ألا وهو عاقبة الطمع دائما تكون وخيمة فالجزاء من جنس العمل، وبالطبع فجزاء هذا اللص هو السجن لذلك يجب على الإنسان أن يعتمد على نفسه في طلب الرزق ولا يبحث على الطرق السهلة فقد تكلفه الغالي والنفيس ويتوخى العمل الحلال.

أما بالنسبة لهذه المرأة فهي مثال يحتذى به سواء في صبرها على ولدها وحذرها ويقظتها وتجلدها في مجابهة الصعاب والمحن الطارئة وهي مثال إيجابي لصورة

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 257.

[2]- المصدر نفسه ، ص257.

[3]- المصدر نفسه، ص 257

المرأة التي حاول ابن الجوزي أن يلفت الانتباه إليها والاحتذاء بسلوكها في طاعتها وتجلدها في مواجهة الصعاب.

2- المرأة الخائنة: وهذا يعد نموذج سلبي للمرأة في المجتمع.

"لئن كان الزواج هو أدق العلاقات بين الجنسين فهو أيضا يمثل خطابا مجازيا تتجلى مجازيته في القصص والحكايات المروية والمدونة، لو استعرضنا حكايات الحب لأمكننا أن نكتشف ما يفرزه الخطاب الثقافي من نسقية مضمرة تتحكم في صناعة التصور وفي تشكيل الصور الذهنية عن نوع من (الجنوسة) المجازية التي هي تورية ثقافية يمثل ما هي خطاب نسقي متحكم ومضمر"[1]

وفي هذا السياق قدم لنا ابن الجوزي في أخبار الأذكياء خبرا مفاده، (أن رجلا خرج في تجارة وترك مالا عند زوجته، وعند عودته أخبرته أن ماله قد سرق مما ادخل هذا الرجل في ذهول كون البيت لا يوجد به أثار دخول أي لص مما أدخله في الحيرة، ولكن في الأخير الخليفة المنصور فك شفرة هذا اللغز وكانت المفاجأة باكتشاف خيانة الزوجة مع رجل أخر وإرجاعه المال أما نهاية هذه المرأة فكان الطلاق).

وإن هذا النص يحمل في طياته العديد من الأنساق السلبية المضمرة فالخيانة هي نسق الرئيس يتبعها العديد من الأنساق التي تدخل في سياق الخيانة، كالخيانة الزوجية وخيانة الأمانة والاحتيال والغدر، والمرأة هي خيط هذا الخبر.

في بداية هذا النص فابن الجوزي يعطينا صورة عامة عن ملامح هذا الرجل "وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته، فرأى رجلا ملهوفا مهموما يجول في الطرقات فأرسل من أتاه به فأخبره عن حاله".[2]

[1]- عبد الله الغذامي، الجنوسة النسقية أسئلة في الثقافة والنظرية، المركز الثقافي العربي ط1، 2017، ص09.

[2]- ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ،ص 69.

المتأمل لهذا النص يتمظهر لنا النسق الظاهر وهو جلوس المنصور في إحدى قباب مدينته وأثناء ذلك مر رجل يظهر على ملامحه الحزن والتشتت ليبعث من يحضره ليتعرف على قصته "فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالا، وأنه رجع بالمال إلى منزله فدفعه إلى أهله فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم يرنقبا ولا تسلق."[1]

أما الأنساق المضمرة التي تتجلى في هذا النص أولا تتمثل في ذكاء المنصور وحنكته وكذلك اهتمامه بشؤون رعيته ودقة ملاحظته استطاع أن يحل اللغز فالملامح الخارجية لهذا الرجل شكلت الفارق له.

وفي المقابل توجد أنساق أخرى متعلقة بهذا الرجل كالخيبة فخيبة أمل هذا الرجل كبيرة ففقدانه لماله وخسارة تجارته ليس بالأمر الهين، وعجزه عن حل مشكلته فبسؤاله عن أحواله وعن زوجته فأعطاه قارورة طيب وأخبره أنها ستذهب همه ولما خرج الرجل أمر أربعة من ثقاته ليقعد على كل باب من أبواب المدينة، فمن مر وبه هذه الرائحة فأتوني به"فدعا المنصور بقارورة طيب فإنه يذهب همك فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته...."[2]

فالخطة المحكمة التي وضعها المنصور بإعفاء الرجل العطر ولكنه لم يخبره بأي شيء فقط أن تذهب همه لما لهذا العطر من صفات " حاد الرائحة غريب النوع"[3]

وما كان من هذا الزوج أن دفع هذا العطر إلى زوجته وأخبرها بأنه هدية من أمير المؤمنين فلما شمته وأعجبها بعثته إلى نفس الرجل التي دفعت له المال "فلما شمته

[1]- المصدر نفسه ، ص 69.

[2]- المصدر نفسه ،ص 69.

[3]- ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ، ص 69.

بعثت إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت المال إليه فقالت له: تطيب من هذا الطيب"[1]

ومن هنا تتجلى لنا صور سلبية مضمرة تتعلق بشخص تلك المرأة والمتمثلة في العديد من الخيانات كالخيانة الزوجية وخيانة الأمانة والاحتيال ويجمعهم الغدر وهذه المرأة هي الخيط في هذا الخبر، فهذا النسق المتجلي في الخيانة فهو لم يتوقف عند حد خيانة الأمانة، فالمرأة متواصلة في خيانتها ولم تكتفي بل سمحت لنفسها بالتمادي مرة أخرى فانهيار المنظومة الأخلاقية لهذه المرأة كل مرة يحمل جانب معين فهي مطبوعة على الأذية وهذا ما عجل انكشاف أمرها لما دفعت الطيب لنفس الرجل وهنا كشفت نفسها بنفسها وأوقعتها، فتماديها في عيها عجل من سقوطها المدوي.

وفي الأخير يتجلى لنا نسق آخر هو العدل فالحقيقة ستظهر مهما طال الأمد، و انكشاف الغز بمرور ذلك الرجل على إحدى أبواب المدينة ليشم الموكل رائحة الطيب ويأتني به إلى الخليفة، ورغم أنه أنكر في بادئ الأمر إلا أنه خوفه من ألف سوط عجل من إقراره وإخباره الحقيقة كلها لصاحب الشرطة الذي بدوره أعلم الخليفة "فلما جرده وسحبه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها"[2] فكانت نهاية تلك المرأة على يد المنصور لما استدعى صاحب الدنانير وطلب منه أن يحكمه في زوجته فقبل فطلقها، بعدما أرجع له ما له فدعا صاحب الدنانير، فقال له: أرأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها لتحكمنى في امرأتك؟ قال: نعم قال: فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها"[3] وهنا يتجلى لنا أثر الخيانة فهو يهدم البيوت ويحول المرء الخائن إلى شخص مهمش، تلبسه عباءة العار فنقص عقل هذه المرأة التي لم

[1]- المصدر نفسه ، ص 69.

[2]- المصدر نفسه ، ص69.

[3]- المصدر نفسه ، ص 69.

تستطيع التفريق بين ما هو حلال وحرام و بين ما هو صائب وخاطئ عجل من سقوطها من قمة الشرف إلى أدنى العار وطلاقها بسهولة كما نجد نسق آخر ألا وهو التفكك الأسري وعواقبه على الفرد والمجتمع فالتناقض بين الوفاء والغدر والخيانة والأمانة تتجلى في آثارها السلبية فهو يعمل على بعث التشكيك في العلاقات الإنسانية التي رسمها المجتمع ولا يجب الحياد عنها، فالإنسان حباه الله بعقل وتفكير وإن حاد عنهما وانشغلا بغرائزه فستؤدي به إلى الحضيض وازدرائه ومن هنا تكمن خطر الخيانة التي تنخر المجتمع وتجعل العلاقات بين الناس يشوبها سوء النية والثقة.

وقد حاول ابن الجوزي وبطريقة ذكية إبراز الغدر والخيانة التي تهدم البيوت واستقرار العلاقات وبدوره يكسر العفة والأمانة وهذا يعد نموذج سلبي للمرأة وأراد ابن الجوزي تسليط الضوء على مثل هذه القضايا وهي دعوة إلى نبذ السلوكيات المحرمة التي تكون نهايتها طريق مسدود وكذلك لفت انتباه الرعية لمثل هذه التصرفات السلبية التي من شأنها أن تفكك التوازن الأسرى والمجتمعي وإلى أهمية وجود حاكم يهتم بشؤون رعيته وينظر في أمور عامة الناس قبل خاصتهم وبهذا فالخليفة المنصور مثال للحاكم الإيجابي الذي يسهر على أمن وراحة رعيته.

- **التطفيل:**

وطفيل الأعراس حسب لسان العرب لابن منظور أنه" رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن عطفان، كان يأتي الولائم دون أن يدعى إليها وكان يقول: وددت أن الكوفة كلها بركة مصهرجة، فلا يخفى علي منها شيء.

قال الأصمعي: هو الذي يدخل على القوم من غير أن يدعوه، مأخوذة من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته.[1]

وفي هذا الصدد يخبرنا ابن الجوزي خبر مفاده أنه (كان لنصر بن علي الجهضمي جار طفيلي، وكان حسن المنظر، وأعذب المنطق، وكان كل ما دعي إلى مأدبة يتبعه هذا الجار، وفي يوما أقام أمير البصرة حفل ختان فأغتنم نصر بن علي الفرصة حتى يفضح هذا الطفيلي أمام الجميع وما أن حضرت الموائد حتى قال أن من دخل دار قوم من غير إذن فهو يعد إذ دخل سارق وعند خروجه مغير، فرد عليه الطفيلي ما إن سمع كلامه متسائلا كيف له أن يبخل بطعام غيره على من سواه وكذلك بين له أنه استدل بحديث ضعيف ورد عليه بحديث آخر صحيح مفاده أن الطعام الواحد يكفي الاثنين وهكذا ولماذا يبخل بالطعام؟ فأفحمه ولم يحضره أي جواب).

وفي هذا الصدد يتمظهر لنا العديد من الأنساق المضمرة فأول ما نبدأ به حسن المظهر فهذا الطفيلي وصفه نصر بن علي الجهضمي أنه حسن المنظر مما يوحي أنه ليس بفقير بل طبعه التطفل وكان صادقا في وصفه منصفا له "كان من أحسن الناس منظرا، وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة، وأجملهم لباسا"[2] وعليه فمظهره يوحي بمستواه الاجتماعي فهو ذا فصاحة ونظيف المظهر وكان ممن يتجمل فهو ذكر صفات الرجل بكل موضوعية وهذا يدل أنه ليس بالهين وعليه قرر الجهضمي أن يفضحه في حالة ما تبعه وأغتنم فرصة ختان ابن أمير البصرة وكما عادته تبعه جاره الطفيلي فدخلوا ومكثوا ساعة فحضر الطعام وهو جالس في نفس جماعة نصر بن علي وهنا تبدأ خطة هذا الأخير للإيقاع بهذا الطفيلي وإحراجه أمام الجميع حتى لا يعود لمثل هذه التصرفات ولكن هيهات "فلما مد يده ليتناول

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص 2683.

[2]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص240.

الطعام، قلت: حدثنا درست بن زياد ...."[1] وإن مد هذا الطفيلي يده إلا أن ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاده أن من دخل دار قوم من غير إذن كأنه دخل سارق وخرج مغيرا، فلما سمع قوله رد عليه جاره الطفيلي "أنفت لك يا أبا عمرو والله من هذا الكلام"[2] وهنا نعود لما وصفه نصر بن علي قال عنه أنه أعذبهم منطقا وتجلى ذلك في رده أنه يعجب لقوله وهو على مائدة الأمير ثم نعته بالبخل لأنه يبخل بطعام غيره على سواه؟ أي أنه لا يملك منه شيء ثم لينتقل إلى نقده من حيث نص الحديث بأنه ضعيف لأن حكم السارق القطع، وحكم المغير التعزير بما يراه الإمام وفي ذلك قولان: الأول فيما يخص السارق أن حده القطع أما حد المغير هو التعزير، ثم ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أن الطعام يكفي لما كل هذا البخل، فأفحم نصر بن علي ولم يعد له جواب "قال نصر بن علي :فأفحمني، فلم يحضرني له جواب."[3]

وهنا يتجلى لنا الفصاحة والمنطق الحسن لهذا الطفيلي وكذا عدم حسن التصرف لنصر بن علي الجهضمي الذي لم يقدر عواقب الأمور جيدا بالرغم أنه ذا معرفة مسبقة بجاره؟؟

وكذلك عند خروجهم فارقه الطفيلي وانشد فيه ببت شعري " فلما خرجنا من الموضع للانصراف .....وسمعته يقول ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا"[4]

وفيه تحذير لمن يدخل الحروب فهو لا يخرج سالما منها بل عليه أن يقدر أموره حتى لا يصطدم بردود الآخرين التي قد تكون مفحمة في الكثير من المرات.

---

[1]- ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص 240

[2]- المصدر نفسه، ص 240.

[3]- المصدر نفسه ، ص 240.

[4]- المصدر نفسه، ص240

ومن هنا نقول أن نصر بن علي الجهضمي برغم من مكانته فقد سبب بفعله هذا غبن لهذا الجار كما أنه سبب إحراج لنفسه فعليه لا ينبغي للمرء أن يجهل قدر نفسه رب امرئ عرف قدر نفسه، وخير ما ختم به البيت الشعري ففيه الكثير من الحكمة لكل إنسان أن يتجنب الدخول في المعارك الخاسرة خاصة أنه إذا كان ذا معرفة سابقة لخصمه كما تقول الخنساء أنه إذا كنت تريد أن تدخل حربا، وتريد أن تخرج منها وأنت سليما فقد ظننت عجزا.

الإحتيال:

والنص الذي بين أيدينا من طرائف ابن هرمه[1] والخمر ومفاده (أن ابن هرمة دخل على الخليفة المنصور فمدحه فقال له سل ما شئت فكانت حاجته، أن يأمر عامل المدينة ألا يحده، فاستنكر الخليفة طلبه لأن حد شارب الخمر من حدود الله، وما كان من الخليفة إن وجد حيلة ذكية ينفذ بها طلب ابن هرمة، فكتب الخليفة إلى عامله إذ وجدتم بن هرمة سكران أن يجلده ثمانين جلدة، ويجلد الذي جاء به مئة جلدة وكل ما مر عليه رجال الشرطة وهو سكران، فيقولون من يشتري ثمانين بمئة، فيتركوه مخافة العقاب.)

وفي هذا النص توجد العديد من الأنساق المضمرة التي يمكن أن نسلط عليها الضوء فنجد نسق التكسب فشعراء هذا العصر العباسي الأول اتخذوا من شعرهم وسيلة للتكسب للحصول على المال فيمدح الخلفاء مقترن بالجزاء "دخل ابن هرمة على أبي جعفر، فأنشده، فقال سل حاجتك)[2] معناه المدح مقابل المال فيتبين لنا أن

[1]– ابن هرمة(80-176هـ) هو اللقب الذي يطلق على إبراهيم بن علي بن معلمة بن عامر بن هرمة الكناني الفرشي .، وكان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وهو أحد الشعراء الذين يحتج بشعرهم في اللغة والنحو، حيث قال فيه الأصمعي "ختم الشعر بابن هرمه" له 280 قصيدة كان مولعا بشرب الخمر، عاش حياته بخيلا سكيرا وبعد مماته أقترن اسمه بالتحقير (كتابة إيمان سامي المرسال، أخر تحديث 15سبتمبر 2017،15:32)

[2]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ، ص 69

الغرض برئ لكن المال يكون من مال المسلمين هو جزء من نصيب الفقراء والمساكين فإجزال العطاء يكون على حساب الطبقة الدنيا؟؟

كما يتبين لنا الاستهانة والتهاون في حدود الله "قال تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني سكران لا يحدني، قال هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله قال مالي حاجة غير ذلك"[1] فهو يريد هدية من نوع آخر فهو لا يريد المال بل ألا يجلده القاضي إن وجده العسس سكران لأنه سكير كثير الشرب دائما الجلد.

فرد الخليفة باستنكار أن هذا حد من حدود الله لا يمكن التلاعب به، فهو يعلم جيدا أن هذا لا يجوز وأنه تطاول على حدود الله" قال: هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله ليرد أنه لا حاجة له غير هذا "[2] وهذا هو التحايل على الحرام باعتبار أن التحايل على الحرام حرام وأن الغش يفسد كل شيء، ولذلك فطلبه فهو تعبيرا عن مكره وكذلك دهائه حتى يفلت من العقوبة وكذلك يفعل ما شاء دون رادع.

أما النسق الآخر الذي يمكن أن نستشفه هو التحايل على القانون وعلى حدود الله."قال اكتب إلى عاملنا بالمدينة: من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين جلدة واجلد الذي جاء به مئة" وعليه فما كان من الخليفة المنصور إلا أن ينفذ طلب إبن هرمة بطريقة ذكية، ومن هنا يتبين لنا طرق التحايل على شرع الله وإبطال حد من حدود الله وسرعة تحقيق رغبات هذا الرجل، وكيف لرجلا مثل هذا أن يبدل مجرى كل شيء وعليه أصبح الحرس يتحاشونه مخافة العقاب ويقولون: من يشتري ثمانين بمئة؟ فيمرون ويتركونه"[3] ومن هنا يتبين لنا أنه من الحيلة ترك الحيلة فهي تؤدي إلى مالا يحمد عقباه وإلى ارتكاب المعاصي ومن ثمة أصبح

[1]– المصدر نفسه، ص69.

[2]– المصدر نفسه ، ص 69.

[3]– ابن الجوزي، أخبار الأذكياء ، ص 69.

قانون ابن هرمة مثلا في التحايل على القانون للتحقيق الرغبات غير القانونية والسليمة وكيف لرجلا نكرة يتسبب في إبطال حد من حدود الله.

ونجد كذلك نسق من يشتري ثمانين بمئة وهذا يدل على الاستهتار والاستخفاف بحدود الله فجعل فيه الاستحالة لأن الكل يخاف العقاب ومن ثمة فتح المجال له ليفعل ما يشاء وكذلك يتجلى لنا بعض ملامح شخصية ابن هرمة أنه شاعرا فذا إلا أنه سكيرا لا يأتي شرع الله وأصبح هذا الشاعر العربي مثلا للتحايل.

وهنا يبين لنا بعض ملامح الحياة العباسية وتتجلى في شخصية الخليفة المنصور بالرغم أنه عرف عليه التضييق على الشعراء إلا أن ذكاء ابن هرمة وحيلته أنقذه من الحد في فترة حكم الخليفة المنصور لأن هذا الأخير معروفا عنه إنه ذا شخصية صعبة فهو كان يسفك الدماء وينكث العهود ولكن بفتوى شرعية يصنعها له بعض فقهاؤه فقد تخصصوا في تأليف الأحاديث لصالح الخلافة العباسية ومن خالفه كان مصيره السجن والتعذيب والقتل وكان معروفا عنه افترائه للأحاديث وكذلك افترائه للمنامات وهذه الأخيرة وصلت إلى ثقافة العوام وانتشرت أكاذيبه وأصبحت متداولة.

وكل هذه المظاهر السلبية شكلت منعرجا في سير هذا الخليفة الذي لا يفتأ أن ينكث مواثيقه ووعوده وأن يبطل حدود الله في سبيل الوصول إلى ما يريد وهذا الليس بالعجب لأن تاريخه خير دليل، أما هذا الشاعر العربي أصبح مضربا للمثل في التحايل على القانون وصار اسمه يدل على شدة فجوره.

- نسق الاستعلاء والأنا

ومن الأمثال ما جاء على لسان الحيوان مما يدل على الذكاء هذا النص الخبري الذي يبدأ بسؤال الثعلب عن سبب سرعة عدوه؟ ليرد بذكاء لأنه يعدو لنفسه.

من خلال هذا النص نستشف صور عدة لنسق الاستعلاء وتتمظهر في صورتين الأولى وتتمثل في نسق الفوقية ويتجلى ذلك في السؤال المطروح " ما بالك تعدو أسرع من الكلب؟"[1] ما كان من رد الثعلب "فقال "لأني أعدو لنفسي والكلب يعدو لصاحبه"[2]

فنسق الفوقية هي نظرة تحقير للآخر فهي من الأخلاق المذمومة بل من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان وتتبع عموما من الثقة المفرطة والكبر النفسي التي عادة تؤدي إلى هلاك الشخص عاجلا أم آجلا فالثعلب يرى أنه أحسن من الكلب فهذا تحجيم له وما هذا إلا كناية عن نظرة الإنسان لأخيه، كما يكون الاستعلاء نابع من أسباب يمتلكونها في أيديهم التي تجعلهم يحتقرون الآخر بالرغم أن قد يكون موجود اليوم وغدا غير موجود هذا السبب.

إنما النسق الآخر فيتمثل في نسق الدونية وتحقير الآخرأعدو لنفسي والآخر يعدو لغيره فهذا يفسر لنا أن الناس في المجتمع درجات فكرية، اجتماعية، ثقافية، لذلك لابد أن يضع الإنسان في تعاملاته هذه الاعتبارات فالتمادي في استصغار الآخر يولد البغضاء والضغينة ويوسع دائرة الاختلافات وكذلك الصراعات وهذا يؤدي إلى زرع الفتن وكثرة الإساءات للآخر.

استطاع ابن الجوزي أن يوجه لنا رسالة مبطنة على لسان هذا الحيوان الذي يضرب به المثل في المكر والخداع إلى الإنسانية جمعاء إن الإنسان مهما كان يملك فهو قابل للفقد لأن هذه الملكيات قابلة للزوال في أي لحظة والحفاظ عليها بالحمد والرحمة لبعضنا البعض.

وقد يحيلنا هذا النص إلى نسق آخر ألا وهو السؤدد والرفعة، فالإنسان يجب أن يكون ذا مبادئ وأخلاق لا يمكن التخلي عنها مهما كانت الأسباب ، سواء في

[1]- المصدر نفسه، ص 312.

[2]- المصدر نفسه، ص312.

إرضاء الغير وإسعادهم أو في طلب منفعة، وبصورة مضمرة فالكلام موجه إلى كل فرد أن يتحلى بالأخلاق الحميدة وعدم احتقار نفسه لأن نظرة الدونية والاحتقار تبدأ من نفس الفرد ليكتشفها الآخر ويستغلها لتصبح نقطة ضعف يفقد منها الفرد نفسه ورفعته لذلك فالاستعلاء من الأمراض الاجتماعية التي يجب محاربتها والقضاء عليها.

وختاما نقول أن ابن الجوزي وظف بجدارة أنساق ثقافية مضمرة داخل أخبار الأذكياء تمثل تناقضات الإنسان وصراعاته الحياتية، فهو يعكس لنا تجارب واقعية أثمرت لنا عن أنساق ثقافية ظاهرة تعدت ذلك إلى أنساق مضمرة حللت لنا بطريقة تشويقية حالة الطبقة الحاكمة والمجتمع آنذاك بجميع طبقاته وأفكاره السائدة نتج عنها حكم وعبر مستنبطة صالحة لكل زمان ومكان.

ثالثا: تقاطع الأنساق الثقافية

إن النقد الثقافي منهجا نقديا وباعتباره توجه معرفي يهتم بحقل الثقافة في الواقع انطلاقا من خلفيات تاريخية، اجتماعية، سياسية، دينية، ثقافية،وكنتيجة لدراستنا لكتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي فهو يحتوي على حمولة ثقافية سياسية اجتماعية دينية وبالرغم من بروز أنساق كثيرة إلا أنها لا تخلو من وجود تقاطعات بينها ويظهر جليا خاصة بين النسق الديني وبقية الأنساق الأخرى.

فنجد نسق الدين فهو مفتوح على كل زمان ومكان وغرض المؤلف إصلاح المجتمع إما الاقتداء وهذا مظهر إيجابي أو الاجتناب وهذا مظهر سلبي وقد تناول ابن الجوزي شخصية القاضي وفيه نموذجين :الأول العادل الإيجابي وهو مثال

يحتذي به أما الثاني فهو القاضي السلبي وقد عرض ابن الجوزي هذه النماذج لفائدة تعليمية دينية لحث القضاة وولاة الأمر على العدل والمساواة.

وهنا يتقاطع مع النسق الاجتماعي والمتمثل في أن دور المجتمع هو التشجيع على وضع دعائم الحق والعدل ومحاربة الظواهر السلبية المتفشية والمتمثلة في أخذ مال الغير والظلم، لذلك فالنسقين يعملا على بعث روح التسامح والعدل والمبادئ الأخلاقية.

أما فيما يخص النسق السياسي فابن الجوزي أرسل لنا رسائل عديدة مشفرة تتعلق بالحاكم والمحكوم ،وهذا لتحلي بروح المسؤولية اتجاه الرعية.

وقد أعطى لنا نموذج الحاكم السلبي المتمثل في شخص الحجاج بن يوسف الثقفي فهو الطاغية والظالم و الشديد على الرعية بغير حق وما نلمسه تقاطعه مع النسق الديني والاجتماعي والمتمثل في انحرافه على المبادئ الأخلاقية والوازع الديني، وهي دعوة صريحة لكل مسؤول وحاكم أن يخاف الله في رعيته وأن يسعى لرد المظالم وحل مشكلات الناس دون كلل أو ملل وهذا نسق مفتوح على أنساق عدة فالرسالة موجهة لكل إنسان في كل زمان ومكان وفي المقابل يعطينا نموذج إيجابي للحاكم والمتمثل في نسق السلطان عضد الدولة فهو مثال للحاكم المثالي المهتم بشؤون رعيته وهنا يتقاطع مع أنساق الطمع والجشع للعطار وفيه دعوة إلى اجتناب مثل هذه التصرفات غير الأخلاقية التي تؤدي إلى نهايات غير محمودة كما في هذا الخبر، وكذلك إلى انساق دينية والمتمثلة في خيانة الأمانة والغدر وفيه دعوة صريحة إلى احترام العهود والمواثيق.

كما يعطي لنا صورة أخرى للحاكم والمتمثل في شخصية الخليفة المنصور فالأولى صورة مشرقة لحاكم عادل مهتم بشؤون رعيته والسعي لحل مشاكلهم وهي إشارة واضحة من ابن الجوزي للحكام بصفة عامة من أجل حثهم على الاهتمام بالطبقة العامة من المجتمع فهي طبقة ضعيفة لا تظهر للعيان لذلك فهي مليئة

بحالات من العوز والظلم والفقر، لذلك فهي دعوة صريحة من ابن الجوزي للاهتمام بهذه الطبقة وحل مشكلاتهم لكثرتها وقلة حيلتهم وهو يتقاطع مع نسق الدين فالحاكم هو خليفة الله في الأرض ومأمور بإفشاء السلام والعدل بين الناس، لذلك فابن ا لجوزي يريد أن يلفت انتباه المسؤول للأخذ بعين الاعتبار أحوال الناس وظروفهم.

أما الصورة الثانية فتتمثل في الشخصية السلبية للحاكم المستهتر الذي يرضي غيره بإغضاب الله كما في خبر ابن هرمة فهو أبطل حد من حدود الله ،فهو يعطي لنا صورة عامة للحياة الاجتماعية في المجتمع العباسي وكيف تحول ابن هرمة من شخصية مهمشة إلى مركزية ذات وزن اجتماعي وكيف أبطل الخليفة حد من حدود الله لإرضاء شاعر لتصبح حكايته مضرب مثل للاحتيال وهو ينبه ابن الجوزي إلى ضرورة التحلي بروح المسؤولية وتفادي الوقوع في المحرمات ولا يمكن إرضاء المخلوق مقابل غضب الله عز وجل، لذا فهو يشدد على ضرورة الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ، لتفادي الانزلاقات الخطيرة التي يؤول إليها المجتمع نتيجة لتحايل على الدين.

كما عرض لنا ابن الجوزي أخباره في قالب قصصي غرضه إصلاحي تعليمي ويتجلى خاصة في أخبار المتطفلين و المكديين والمتسولين وهنا تتقاطع العديد من الأنساق باعتبارها ظاهرة تفشت في المجتمع العباسي نتيجة للانهيار الاجتماعي وتفشي الأمراض النفسية نتيجة للفقر المدقع التي يعيشه عامة المجتمع ، فطرح هذه الأخبار لغرض تعليمي بحت وهنا الجاحظ له السبق في انتقاده لظاهرة التطفيل كطاهرة اجتماعية سلبية نتيجة دخول الفرس للبلاد العربية .

فعرض ظاهرة التطفيل والطفيليين الذين اتخذوا من حسن المظهر والمنطق وسيلة للتطفيل والاحتيال حتى انه مدح ذكاء الطفيلي فأخباره ليست بريئة بل تحمل في طياتها العديد من الأنساق لنقد هذه الظاهرة بأسلوب ترفيهي والغاية إصلاحية

فالخروج على المعايير الاجتماعية يعد شذوذ للمألوف و بها يختل المجتمع أما الظواهر السلبية كالتكدي والتسول والاحتيال فهو يحث على اجتنابها ويدعو إلى العطاء والسخاء لا المنع والشح سواء في المادة أو الأخلاق فابن الجوزي من خلال أخباره يريد أن يصلح المجتمع لا بطريقة الوعظ المباشر بل عن طريق التلميح والإشارة حتى يكون له وقع كبير سواء على العامة والخاصة من الناس.

لذلك فابن الجوزي ذو رسالة تعليمية توجيهية مبطنة تحمل في طياتها الكثير من المواعظ الإصلاحية والتربوية سواء للحاكم والمحكوم وللإنسانية جمعاء في كل زمان ومكان.

الخـــاتمـــــة

خاتمة:

فـي ختـام دراسـتنا للأنسـاق الثقافيـة فـي أخبـار الأذكيـاء لابـن الجـوزي يمكـن إجمال أهم النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

– النقد الثقافي اتجاه جديد في قراءة النصوص فهو من إفرازات مرحلة ما بعد الحداثة ، يتعامل مع النص بوصفه حادثة ثقافية.

- يسعى النقد الثقافي إلى استنطاق مضمرات النص بالتوغل في أغواره للكشف عن مكنوناته وموضوعاته، شاملا الخطابات المركزية والهامشية منها.

- تعد الأخبار من أكثر الأجناس تناولا لمشاكل الناس واهتماماتهم وبالتالي تنوع موضوعاتها، وهذا ما جعل مدونة ابن الجوزي تزخر بالكثير من العبر والمواعظ والتوجيهات.

- عالج ابن الجوزي في "أخبار الأذكياء" العديد من الموضوعات الدينية والاجتماعية والسياسية التي تحمل نظرة المؤلف،و تكشف عن العديد من قبحيات المجتمع، دون أن تغفل الكثير من محاسنه ، وعليه فقد تناول العديد من التيمات بتسلحه بأنساق ثقافية أهمها:

- **النسق الديني:** نسج ابن الجوزي كتابته على هامش مصادر ثقافية متنوعة ويبدو هذا النسق واضحا وجليا في خطاباته وأهمها قوة الإيمان والدعوة إلى التحلي به وكذا حسن القضاء والعدل والبصيرة فهي كلها صورا للتقوى والإيمان والدعوة إلى إنصاف المظلوم وإقرار العدل ، فهو ذا نزعة إنسانية يسعى من خلالها إلى تقديم رسائل تربوية إصلاحية.

- **النسق الاجتماعي:** أعطى لنا صورة عن ظروف العصر المرتبط بالواقع المعيشي آنذاك ،ووصف نسق التكدي، والتسول وجدلية الموت والحياة والدهاء والحيلة والحمق والمرأة والتطفل والاحتيال، فهي كلها تحمل شحنات مضمرة من

صميم انشغالات المجتمع، وممارسات مرتبطة بالواقع المعيشي، وفيها دعوة مبطنة للترفع عن دنيء الأخلاق كالغدر والاحتيال والتسول وأخذ مال الغير، وكل الأفعال التي من شأنها أن تهدم كيان المجتمع، فهو يعكس لنا تجارب واقعية لحالة المجتمع آنذاك بجميع طبقاته وأحواله .

- **النسق السياسي:** الذي أراد ابن الجوزي تمريره من خلال استبداد السلطة وفسادها، متمثلا في الصراع السلطوي كما قدم من جهة أخرى صورة إيجابية عن حرص السلطان وأولياء الأمر وتفانيه في خدمة رعيته، وكأنه يقدم نماذج للإقتداء واخذ الموعظة والعبرة.

- استطاع ابن الجوزي من خلال مدونته أخبار الأذكياء أن يسلط الضوء على العديد من الأنساق الثقافية التي جمعت بين الخير والشر والشرف والأمانة والكرم والبخل...وكل هذه التناقضات كشفت لنا عن زخم ثقافي يعكس مدى عمقها الذي يدعو إلى الكثير من التأمل والبحث في أغوارها والكشف عن مكنوناتها، لذلك فما هذا البحث إلا بوابة للمزيد من الدارسات المعاصرة وبمناهج مختلفة وإثارة إشكالات جديدة لتضمنه العديد من التيمات الجديرة بالدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- ابن الجوزي: أخبار الأذكياء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، ط1، سنة 2003م.

ثانيا: المراجع بالعربية

1. جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، دار النشر الألوكة المغرب. د ت.

2. حسن السماهيجي وآخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية / دراسات نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، سنة 2003.

3. سمير خليل: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجوهري بغداد، ط01 سنة 2012.

4. سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي ط1، سنة 1997.

5. سعيد يقطين: السرد العربي، مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، سنة 2012.

6. صلاح قنصوة: تمارين في النقد الثقافي، (دار النشر) سربت القاهرة ط1، سنة 2007.

7. ضياء الكعبي: السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1سنة 2005.

8. عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3 سنة 2005.

9. عبد الله الغذامي، عبد النبي أصطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي دار الفكر ، دمشق ط1 سنة 2004.

10. عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط3، سنة 2006.

11. عبد الله الغذامي: الجنوسة النسقية، أسئلة في الثقافية والنظرية، المركز الثقافي العربي ط1 سنة 2017.

12. لمى إبراهيم فياض، الدليل إلى القوة والدهاء، 11نيسان 2021 لبنان www.lama.Fayad.word.press.com

13. مجيد خذوري: مفهوم العدل في الإسلام، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا ط1، سنة 1998.

14. منصور عبد الحكيم: الحجاج بن وسف الثقفي، طاغية بن أمية، دار الكتاب العربي دمشق القاهرة. د ت.

15. هيثم أحمد العزام: النقد الثقافي، قراءة أخرى، دار النشر والتوزيع الوراق سنة 2006.

ثالثا: المراجع المترجمة:

1- أرثر أيزبرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية تر: (وفاء ابراهيم، معنان بسطاويسي) ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1 سنة 2003م

2- عبد الفتاح كيليطو: المقامات السرد والأنساق الثقافية، تر: (عبد الكبير الشرقاوي)، دار توبقال للنشر، ط2 سنة 2001.

رابعا: المعاجم:

- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة حققها عبد الله علي الكبير وآخرون، طبعة جديدة.

خامسا: المجلات

01. حسين حليمي: استقراء الأنساق الثقافية في فكر الجاحظ، دراسة ثقافية في كتاب البخلاء، مجلة موازين، المجلد 03 العدد 01 سنة 2021.

02. شعبان عبد العزيز: ما بعد النقد الأدبي، النقد الثقافي وهجرة النقد إلى تخوم الأطراف والهوامش، المجلة العربية لعلم الترجمة، المجلد 02، العدد 03 سنة 2023 الجزائر.

03. عبد القادر طالب: النسق الثقافي وسمات التشكل في الخطاب الأدبي (قراءة من خلال تجربة ناقد يوسف عليمات) مجلة دراسات لسانية، المجلد 02، العدد 10 سنة 2018، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس/ الجزائر.

04. عطية نسرين، كنتاوي محمد، مجلة كلام، مخبر اللغة والتواصل، جامعة غليزان الجزائر.

05. صورية جعبوب: "النقد الثقافي: مفهومه، حدوده وأهم رواده" مجلة كلية الآداب واللغات العدد 01، جامعة عباس لغرور خنشلة الجزائر.

06. كحلي رابح: بديع الزمان الهمذاني وشعرية الكتابة المرموزة، قراءة في تقاطع مقاماته مع بلاغة الجاحظ، مجلة بدايات، المجلد 05، العدد 01 جانفي 2023.

07. ملحة بنت معلث بن رشاد السحيمي: نظرية النقد الثقافي مالها وماعليها مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة طيبة، المدينة المنورة.

سادسا: الرسائل الجامعية

1. بورعدة يسرى، كرارمة يمينة: الأنساق الثقافية ودلالاتها في ديوان "بوح الرمق الأخير" لنادية لعياطي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، لسانيات خطاب، جامعة عين تموشنت الجزائر سنة 2022م.

2. قفصي عبيدة: الخبر الهازل في أخبار الحمقى والمغفلين، مذكرة ماستر في الأدب العربي القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة/ الجزائر سنة 2020م

سابعا: مواقع إلكترونية

01.جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ديوان العرب، السبت 08 فيفري 2012.www.diwanalarab.com

02. سعد الحطيني روائي جزائري صفة ثالثة، منبر ثقافي عربي ، 25 سبتمبر 2023 diFFah.alaraby.couk

03.مجموعة مؤلفين : زاد الواعظين، سيرة ابن الجوزي شيخ الواعظين، عدد ربيع الأول 1437. www.altwhed.net

الملخص:

يهدف بحثنا إلى دراسة الأنساق الثقافية في النثر العربي القديم، حيث يضمر هذا الأخير رؤى المؤلف ومختلف تطلعاته لمجتمعه،فأخبار الأذكياء لابن الجوزي فقد احتضنت النقد الثقافي بغية استجلاء الأنساق المضمرة الخفية والمعلنة بصورتيها الإيجابية والسلبية وكشفت عن الكثير من القيم والعبر والمواعظ بأسلوب رائع حيث صور لنا بعض نواحي الحياة العباسية كما طرح قضايا مجتمعية عديدة فهي تبعث على الطرافة من جهة و ذات أسلوب تعليمي من جهة أخرى ،حيث وجدنا العديد من الأنساق الثقافية البارزة كنسق الدين ويظهر جلي في تقاطعاته مع مختلف الأنساق الأخرى حيث أرسل انساقا مشفرة لنماذج حية للإيمان وحسن القضاء وسيئه والعدل وغيرها انتصارا للدين لما يحمله من القيم العليا و الأخلاق الحميدة وهذا للإقتداء والتوجيه،كما نسق السلطة فهو عبارة عن ثورة على الفساد والحكم ، وهذا بغية إصلاح وتوجيه الحاكم وكذلك تثمين الحكم الراشد وفيه دعوة وجهها لصالح البشرية والاقتداء بالأحسن و نبذ الأسوء في كل زمان ومكان ، أما نسق الاجتماعي تمظهر في العديد من النماذج المثالية للمرأة للإقتداء والتوجيه ، ونبذ المرأة السلبية والإشارة إلى بعض المظاهر السلبية كالتطفل و الاحتيال والتسول والتكدي و الجشع والبخل، ومدى تأثيرها على المجتمع وعليه فهذا الكتاب فيه دعوى إلى التحلي بالأخلاق الحميدة وترك الأفعال السيئة ونبذها.

الكلمات المفتاحيـــــة : النقد الثقافي ، النسق ، كتاب أخبار الأذكياء.

Summary:

Our research aims to study the cultural patterns in ancient Arabic prose, as the latter contains the author's visions and his various aspirations for his society. The news of the intelligent people of Ibn al-Jawzi embraced cultural criticism in order to clarify implicit and declared implicit patterns in both their positive and negative forms. Some aspects of the Abbasid life, as he raised many societal issues, as they inspire wit on the one hand, and have an educational style on the other, where we found many prominent cultural systems, such as the religion system, and it appears clearly in its intersections with various other systems, as it sent coded systems for vivid models of faith, good and bad judiciary And justice and others are a victory for religion because of what it carries of supreme values and good morals. As for the social system, it is manifested in many ideal models for women to follow and guide, rejecting negative women and referring to some negative manifestations such as intrusion, fraud, begging, toiling, greed and miserliness, and the extent of their impact on society, and therefore this book contains a call to have good morals and leave bad deeds and reject them.

.

Keywords: cultural criticism, format, intelligent news book.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: النقد الثقافي ومرتكزا ته	
تمهيد	5
1.النقد الثقافي	6
2.النقد الثقافي ومرتكزا ته	9
3.النسق الثقافي	14
4.الثقافة والنسقية في النص العربي القديم	17
الفصل الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في كتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي	
أولا نبذة عن حياة ابن الجوزي	28
ثانيا تمظهرات الأنساق الثقافية في كتاب أخبار الأذكياء	29
1.الأنساق الدينية	30
قوة الإيمان	31
حسن القضاء	32
العدل والبصيرة	34
الجنون	36
2.الأنساق السياسية	38
الصراع السلطوي	38
السلطان	41
3.الأنساق الاجتماعية	45
التكدي والتسول	45

جدلية الموت والحياة	48
الدهاء والحيلة	51
الحمق	52
الطمع والجشع	53
المرأة	55
التطفل	61
الاحتيال	64
الاستعلاء والأنا	66
ثالثا: تقاطع الأنساق الثقافية	68
خاتمة	73
قائمة المصادر والمراجع	76
الملخص	79
الفهرس	81